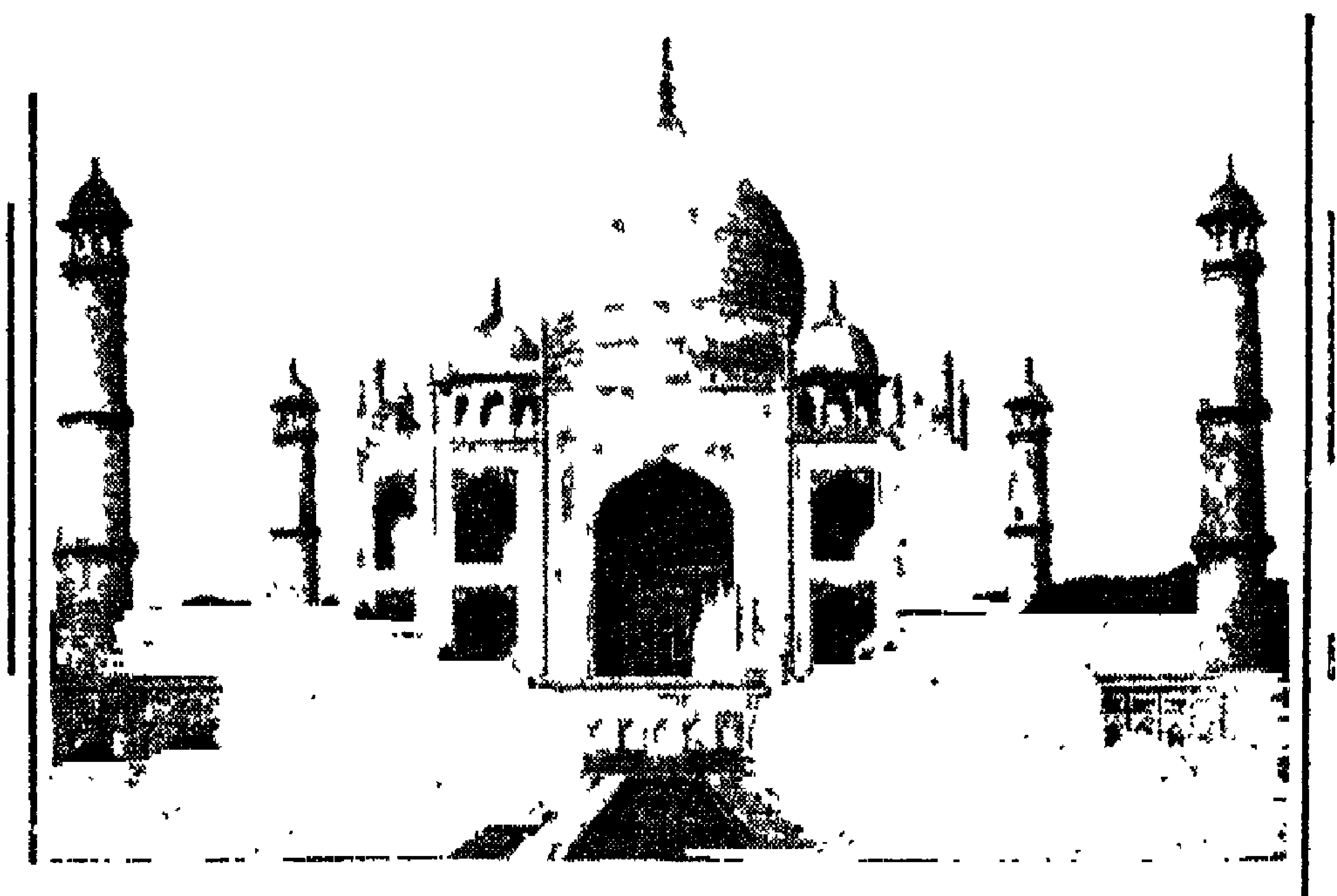


القراءة الراشدة



لتعليم اللغة العربية في المدارس الإسلامية

الجزء الثالث





ابو الحسن علي الحسني الندوي



القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية في المدارس الاسلامية

الجزء الثالث

تأليف

ابى الحسن على الحسنى الندوى

يطلب الكتاب من

مكتبة التعاون لدار العلوم ندوة العلماء

لكهنؤ (الهند)

(مطبوعه نامى پريس لكهنؤ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة فى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

ها هو ذا قد أسفر النهار والناس راجعون من المسجد النبوى فى سكينة ووقار ولكن فى خفة ونشاط، وهنا دكان يفتح فى السوق، وهنالك..... سكة تمشى فى الحقل وهذا بستان من نخيل يسقى، وذلك أجير يشتغل فى حائط على أجرة يأخذها فى المساء، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال وطلب مرضاة الله بالمال، تروتهم خفاف الايدى فى العمل، ذلل اللسان بذكر الله عامرى القلوب بالحسبة

وطلب الأجر، يحتسبون فى أشغالهم ما لا يحتسب المصلّى اليوم فى صلاته مقبلين بقلوبهم الى الله و بقالبهم الى شغلهم، و ها هو ذا قد أذّن المؤذّن فإذا بهم ينفضون ايديهم مما كانوا فيه كان لم يكن لهم به عهد، وخفّ الى المسجد "رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ۚ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ"

وها هو ذا قد قضوا صلاتهم وانتشروا فى الارض يبتغون من فضل الله و يذكرون الله، وقد مالت الشمس الى الغروب فرجعوا الى بيوتهم و قابلوا اهلهم وجلسوا اليهم يتحدثون معهم ويلاطفونهم ويؤنسونهم طمعا فى أجر من الله و رضوان، وناموا بعد صلاة العشاء، وإذا بهم قائمون امام ربهم فى الاسحار لهم دوىّ كدوىّ النحل وفى صدورهم أزيز كأزيز المرجل وينصرفون

بعد صلاة الصبح إلى اشغالهم فى نشاط الجندى وقوته كأن لم يتعبوا فى النهار و لم يسهروا فى الليل؛

انظروا الى مجالس الذكر والعلم فى المسجد وقد ضمت صنوفا وأنواعا من الناس فهذا هو الغلام الذى رأيته فى النهار فى حقله، وهذا هو الأجير الذى رأيته ينزع الدلاء ويسقى النخيل فى بستان يهودى، وهذا هو التاجر الذى رأيته فى سوق المدينة يبيع، وهذا هو الصناع الذى وجدته مشتغلا بصناعته وليسوا الآن الا طلبة علم وقد هجروا راحتهم وهم فى حاجة اليها بعد شغل النهار وتركوا اهلهم وهم فى حنين اليهم لانهم سمعوا ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ولانهم سمعوا ان من سلك طريقا يبتغى فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة ولانهم سمعوا

«لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فى من عنده» تراهم ساكتين كأنّ على رؤسهم الطير، خاشعين كأنّ الوحى ينزل «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ» يتسابق العلم والخشوع فلا يدرى أيّهما أسبق وتبتدر المعانى الى القلوب والكلمات الى الأذان فلا يدرى أيّها أسرع؛

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب فاذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول حضر جاره أو أخوه فيخبر الاول بما دار فى المجلس من حديث وما نزل من آية؛

وهؤلاء هم القرّاء قد انقطعوا الى العلم فاذا جنّهم الليل انطلقوا الى معلّم لهم فى المدينة فيدرسون الليل حتى يصبحوا فإذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء

وأصاب من الحطب ومن كانت عنده سعة اجتمعوا فاشتروا الشاة واصلحوها فيصبح ذلك معلقا بحُجَر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

وما من احد فى المدينة الا ويعرف الحلال والحرام وما تتعلق بحياته وحرفته وشغله من الاحكام ويحفظ من القرآن ما يقوم به فى صلاته ثم هو مستمر فى طلب العلم يزداد كل يوم فقها فى الاحكام ورسوخا فى الدين وحرصا على العمل وشوقا الى الآخرة و رغبة فى الثواب، وعلمهم بالفضائل اكثر من علمهم بالمسائل وباصول الدين اكثر من علمهم بفروعه ابرّ الناس قلوبا وأعمقهم علما وأقلّهم تكلّفا؛

واذا تعلم احد منهم شيئا من الدين أسرع الى اخوانه يعلّمهم لانه سمع «الا فليُبَلّغِ الشاهدُ الغائِبَ فرُبَّ مبلّغ أوعى من سامع» وسمعوا نبيّهم يقول «انما بُعِثت معلّما»

وسمعوه يقول «لاحسد الا فى اثنين رجل اتاه الله مالاً فسلطه على هلكته ورجل أتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها» و هكذا انقسم المسلون فى المدينة بين طالب ومعلم فإمّا طالب و إما معلم بل كل واحد منهم طالب ومعلم فى وقت واحد يأخذ من مكان ويدفع الى مكان ؛

هل عرف التاريخ مدرسة ارسع من هذه المدرسة النبوية التى يقرأ فيها التاجر والفلاح والأجير والصناع والمحترف والمشغول والشاب الناهض والشيخ الفانى يتعلمون فيها بجميع قواهم فالأذن تسمع ، والعين تبصر والقلب يشعر والعقل يفكر والجوارح تعمل ؛

عرفوا احكام الاجتماع فى الاجتماع واحكام الاختلاط فى الاختلاط واحكام التجارة فى التجارة واحكام المعاشرة فى المعاشرة فاستطاعوا ان يحافظوا على دينهم ودنياهم

وخشوعهم وذكرهم فى المجامع والمجالس وفى صخب الاسواق وفتنة البيوت فاذا خاضوا فى الحياة لم يغلبوا على امورهم، شان الذى يتعلم السباحة فى بحر متلاطم وفى نهر فياض، فكانوا فى المسجد اذا خرجوا من المسجد وفى الصلاة اذا انصرفوا من الصلاة بررة القلوب، صادقى الوعد، سديدى القول فى المساجد والأسواق معا وفى المعتكف والحانوت معا وفى الحضر والسفر معا ومع الصديق والعدو معا؛

حتى اذا نادى منادى الجهاد «انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ» وهتف هاتف الجنة «وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ» اقفل التاجر دكانه وترك الفلاح سكته ورمى الصناع آلاته، وترك الأجير رشاء دلوه وخرجوا فى سبيل الله لا يلوون

على شئ كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد وفى ديارهم واهلهم على مسامحة ورخصة.

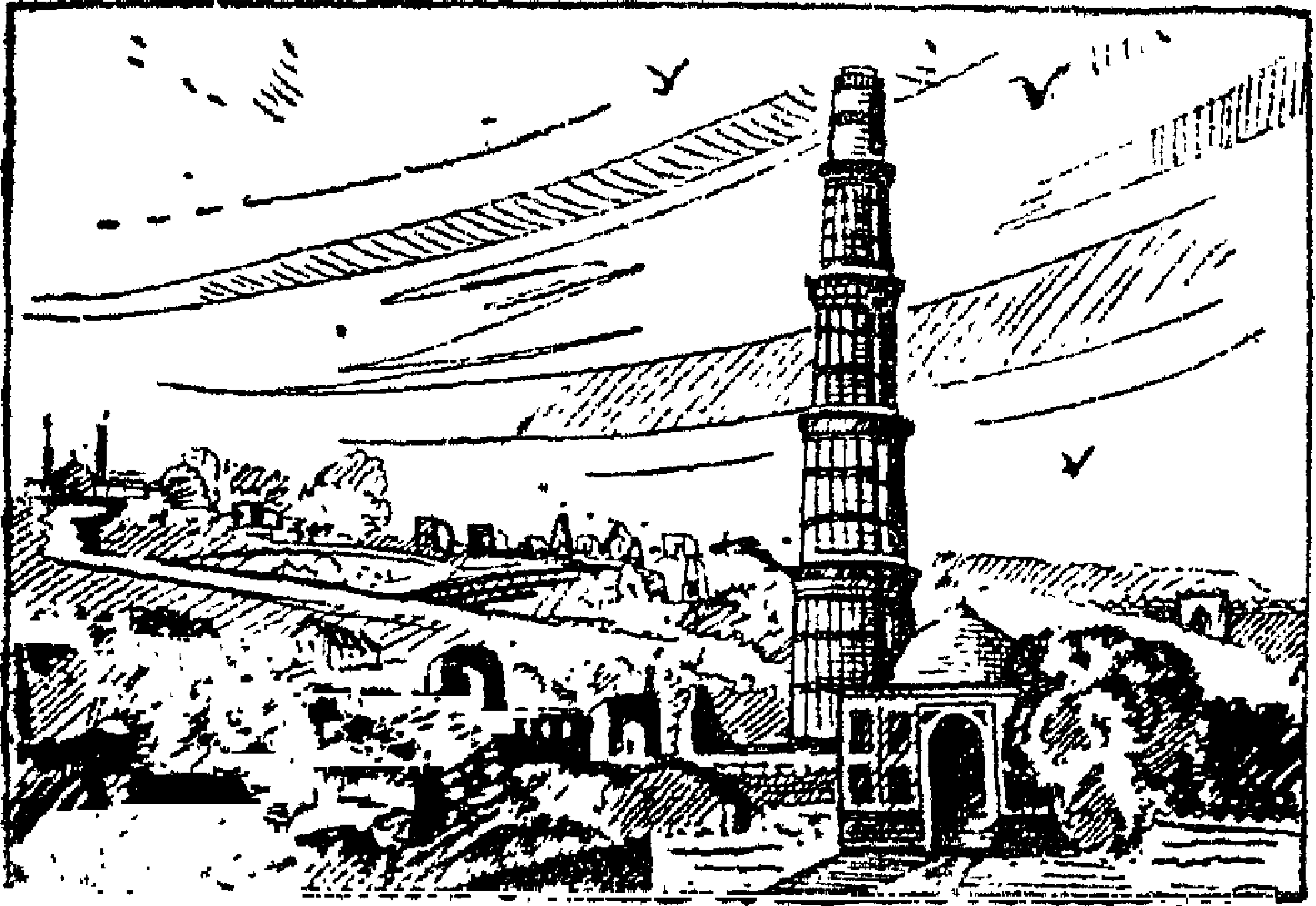
وترونهم يتجولون فى البلاد ويسيحون فى الأرض كأنهم خُلقوا على ظهور الخيل وولدوا على متون الابل، يعدّون غدوة او روحة فى سبيل الله افضل من الدنيا وما فيها يصلون النهار بالليل والشتاء بالصيف، وهم أينما رحلوا ونزلوا مدارس سيارة ومساجد متنقلة وهكذا نشروا الدين من أقصى الأرض الى أقصاها ومن شرقها الى غربها؛

(من رسالة "الى ممثلى البلاد الاسلامية"
للمؤلف)



المنارة تتحدّث

(١)



خرجت يوماً من مدينة دهلي اروّح نفسي من صخب الأسواق وعناء الاشغال وذهبت الى منارة قطب الدين خارج دهلي ؛
ورأيت هذه المنارة الشامخة نا

اية فى الهندسة والبناء مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء، تنطق بعظمة القدماء؛

وبينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور وقصور وأفكر فى ضعف الانسان وقوة البنيان، إذا صوت يرنّ فى أُذنى ويقول "أيُّها الرجل اسمع"؛

والتفتُّ فلم أرَ احداً، وسرّحت طرْفى فاذا المكان هادئٌ، ليس هنا داع ولا مجيب وليس هنا الا الحجارة الصّماء البكماء؛

واذا صوتٌ يتردّد "ايها الرجل اسمع" فأصغيت إلى هذا الصوت وقد دنوتُ من المنارة، فرأيت عجباً؛

رأيت عجبا إذ سمعت المنارة تتكلم، فقلت لم أر كاليوم، حجارة تنطق ومنارة تتحدّث!

واذا صوت اجهر واوضح من قبل، اسمع ايها الرجل ولا تخف، فقد أنطقنى الله الذى انطق كل شئ؛

هنالك وقفت استمع لهذا الصوت فاذا المنارة تقول :

أنا واقفة هنا منذ اكثر من سبعة قرون لم أبرح مكانى ساعة ولم أُغمِّض عينى طرفة أشاهد تقلبات الزمان وتحول الملك والسلطان، كأنى قطب يدور حولى رحى الحوادث؛

وقد رأيت فى هذه المدة من العجائب ما أضحكنى قليلا ومن المحزنات ما أبكانى طويلا ولولا ان قلبى من حجر لانشق حزنا؛

ولا انكر انى رأيت فى هذه المدة ملوكا عادلين ورجالا من العلماء والصالحين قرّت بهم عينى وزالت بهم احزانى ؛

وها أنا ذا أقصّ عليك خبرى، وما جرى فى هذه البلاد بين سمعى وبصرى ؛

سمعت ان السلطان محمود الغزنوى هو الذى فتح هذه البلاد للاسلام ودوّخها من الشمال الى الجنوب وهزم الاحزاب

والجنود المجندة لملوك الهند فكان برهانا على أن الايمان يغلب العدد، وذلك في نحو القرن الخامس الهجري؛

وبعد قرن ونصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغوري وهو الذي رسخت به قدم المسلمين في هذه البلاد وقامت لهم دولة مستقلة؛

ولكن الذي فتح هذه البلاد في الحقيقة وأخضعها للاسلام هو الرجل الصالح الشيخ معين الدين الجشتي الذي اهتدى به الى الاسلام ألوف من المشركين وكأن دعاءه سلاحًا للغوري وجُنّة؛

أنا أقول «سمعت» لأني لم أكن في تلك الأيام فأنا وليدة القرن السابع فقد بناني قطب الدين منارة لجامع قوة الاسلام وأتم بنائي على يد شمس الدين وبقيت فريدة منذ وُلدت؛

ومن حسنات الاسلام انه جعل العبيد سادة والمماليك ملوكا، فقد خلف الغوري مملوكه قطب الدين وخلفه مملوكه شمس الدين واستمرت دولة المماليك ٨٧ سنة جاء في خلالها ملوك يتجمّل تاريخكم بهم كالقائد قطب الدين ايبك والملك الكامل شمس الدين الألتمش والملك الصالح ناصر الدين محمود بن الالتمش والملك العادل غياث الدين بلبن؛

وفي عصر السلطان شمس الدين كان في دهلي الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكي وطالما رأيت السلطان شمس الدين يدخل عليه في الليل ويخدمه ويغمز رجليه ويبكي؛

وانقرضت دولة سادتي المماليك، والأرض لله يورثها من يشاء، وجاء الخلج ورأيت من غرائب الانسان عمّا كريما يقتله ابن اخيه وختنه؛

ولكن علاء الدين بعد ما قتل عمّه جلال الدين

ضبط البلاد، وسنّ القوانين وعيّن الأسعار و
بسط الأمن وأوغل في الهند؛

وقُضي على الخلجيين بالزوال بعد ٣١ سنة
سنة الله في الأرض، وورثهم آل تغلق، وكان
منهم ملك غريب الاخلاق أعني محمد تغلق
الملك العاقل المجنون الذي اراد ان يحوّل
العاصمة الى دولت اباد ولكن الله رحم وحشتي
ولم يطل الملك؛

وخلفه شابٌّ صالح من بيته اسمه فيروز
الذي بنى المساجد والمدارس، وأنشأ الشوارع
والرّباطات وردّ المظالم؛

وفي هذا العهد كان العبد الصالح الشيخ
نظام الدين البدايوني وكانت له زاوية عامرة
يؤمّها مأت من الطالبين فكانت امارة روحية
في جنب امارة مادية تفوقها في السلطان
على القلوب؛

حكم آل تغلق ١٣٥ سنة، مدّة طويلة،

ثم طوى بساطهم - والحكم لله - وآل الأمر الى اللودهيين، وكان أوسطهم سكندر اللودهي وكان عادلاً فاضلاً يحب العلم والعلماء؛

وفي هذا العهد ازدهرت مدينة جونبور وبلغت اوجها في عهد ابراهيم شاه الشرقي (٨٠٤-٨٤٤) وكنت أسمع احاديث ملكها و اخبار علمائها كملك العلماء القاضي شهاب الدين الدولت آبادي والشيخ ابي الفتح بن عبد المقتدر الدهلوي وقصص جوامعها ومدارسها؛

وازدهرت كذلك مدينة احمد آباد وفاقت الهند بملوكها الراشدين وعلمائها المحدثين وبصنائعها وكثرة جنانها و حدائقها وحسن نظامها وكنت أسمع اخبار محمود شاه وابنه مظفر شاه الحليم (٨٦٢-٩٣٢) فكاني أسمع اخبار رجال خير القرون؛



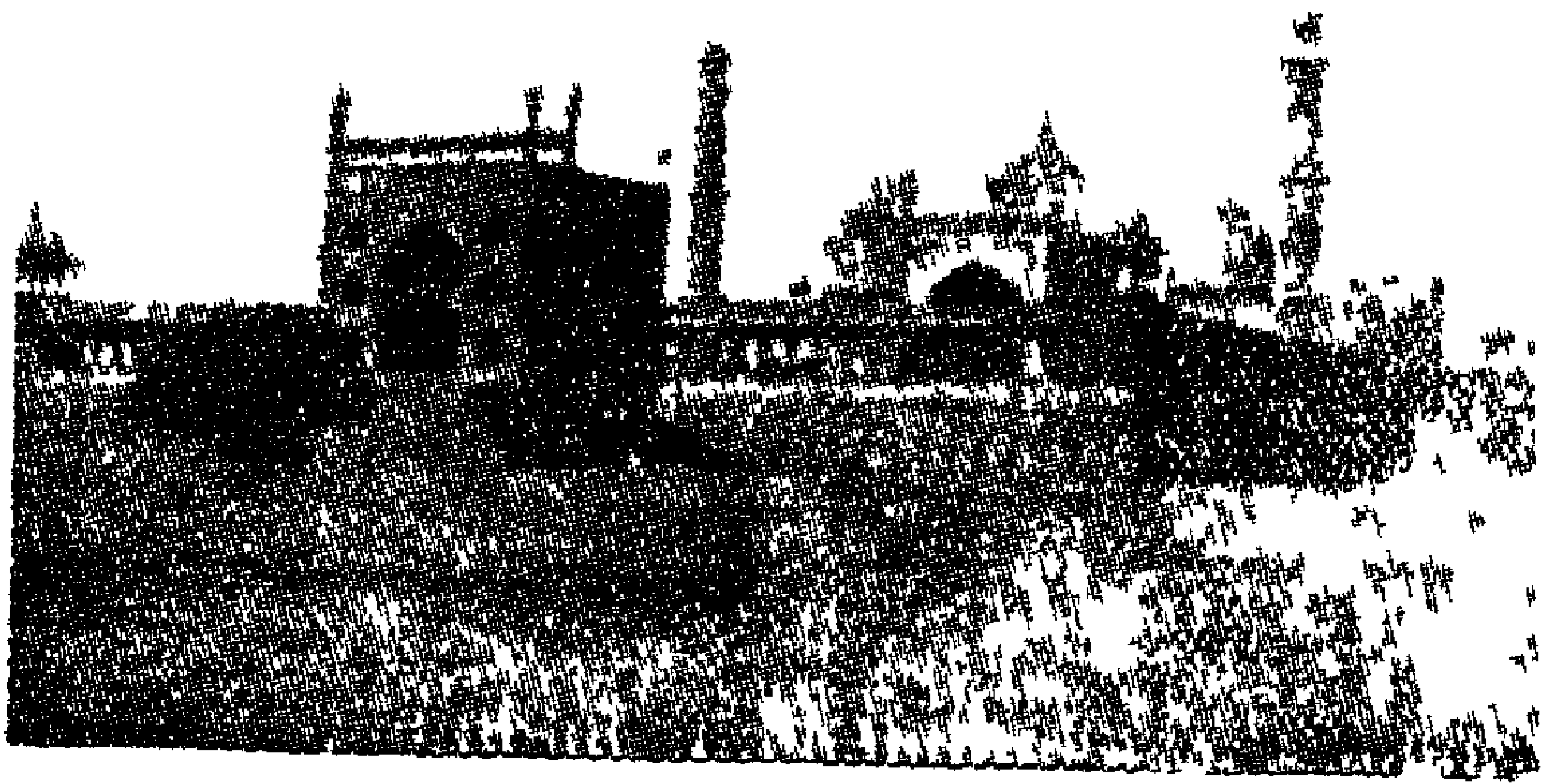
المنارة تتحدث

(٢)

وفى عهد ابراهيم اللودهى سنة ٩٣٣ جاء بابر وهو من آل تيمور من كابل وكسر جنود اللودهى وهى مائة الف مقاتل فى ساحة بانى بت باثنى عشر مقاتلا فكان برهانا على ان العزيمة تغلب الكثرة، وأسس دولة المغول التى لها دوىٌّ فى العالم وآثار خالدة فى الهند؛

وفى عهد ابنه همايون نهض شير شاه السورى فطارد همايون الى ايران وأسس دولة منظمة لم تسبق، وعمل أعمالا جليلة لو وُزّعت على عدة ملوك لوسعتهم فأنشأ شارعا مسيرته اربعة اشهر وغرس عليه الأشجار وبنى عليه المنازل والمساجد وذلك كله فى خمس سنوات ولا أزال أغبط

سهسرام إذ كانت عاصمته ومدفنه وهنا
تخلفت دهلي وسبقتها مدينة صغيرة



جامع شاهجهان في دهلي

وخلف همايونَ الذي استردّ ملكه
بمساعدة شاه ايران ابنه الأمّيّ أكبر
وهو الذي مرق من الاسلام واخترع دينا
جديدا وعاند المسلمين وقد أنجانى الله من
مصاحبته اذ اتخذ أكره عاصمته ؛

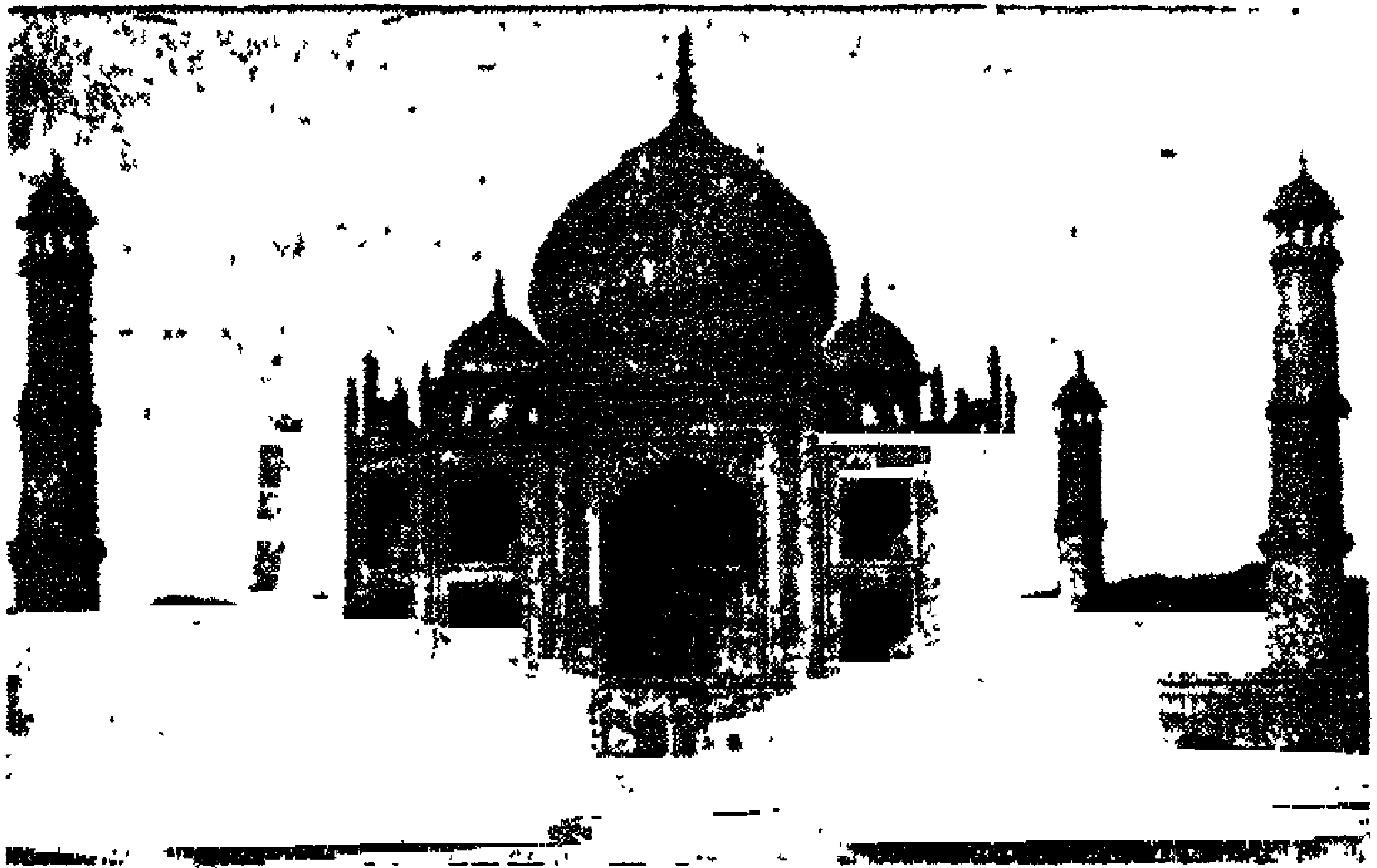
وخلفه ابنه جهانگير وكان أفضل من أبيه ودون ابنه وحفيده واضمحلت آثار أكبر في عهده؛

وفي هذا العصر نهض المصلح الكبير الشيخ احمد السرهندي المجدد (م١٠٣٤) فقلب التيار وغيّر الله به الليل والنهار، وانتصر به الدين، وزالت به دولة المبتدعين؛

وفي هذا العصر سعدت الهند ايضا بوجود عالم كبير هندي عَلم الحديث وصنّف ودرّس طويلا وهو العلامة عبد الحق البخاري (م١٠٥٢هـ) وإنا سيعبد بانه لا يزال في جواري؛

وخلف جهانگير ابنه شاه جهان وهو صاحب الآثار الجميلة في الهند، بنى جامعا في دهلي من اجمل مساجد المسلمين في العالم، وبنى القلعة الحمراء وبنى على قبر زوجته التاج محل وهي الدرة اليتيمة

فى البناء ، وما وددت ان أبرح من مكانى الا أراه



التاج محل

وخلف شاه جهان ابنه السلطان اورنك زيب عالمگير وهو رجل هذا البيت الرشيد ، فأمر بتدوين الفقه وابطل المكوس والمظالم عن المسلمين وضرب الجزية على المشركين ونصب المحتسبين وأقام دولة العلم والدين ، ومن حسن حظ المسلمين فى هذه البلاد

أن خلفاء أورنك زيب لم يكونوا رجالا أكفاء في الدين والسياسة فاصبحت السياسة هن لا والدولة ألعوبة ، ملوك يحكمون صباحا ويقتلون مساءاً ويستبدلون كالخلفات من الثياب ؛

ولا اضيع وقتك الثمين في سرد اسمائهم الفارغة.

وهنا رأيت ما أبكاني ، نقد فسدت اخلاق المسلمين في هذا العصر ، فشا فيهم الفجور ، وعمت الخمور وكثرت الملاهي واقبل الناس على اللهو واللعب والرقص والغناء فكأن لم يبعث نبي ولم ينزل كتابٌ ، والناس في جاهلية :

وكنت اذكر قول الله تعالى « وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ہ »

واهنات بطشه ؛

وفی عهد محمد شاه (م ١١٦١ھ) بلغ السیل الزّبی وطمّ الوادی علی القریٰ، فبعث اللّٰه علی اهل دهلی عباداً له اولی بأسٍ شدید فجاسوا خلل الدّیار؛

جاء نادرشاه سنة ١١٥١ھ من ایران فوضع فیهم السّیف وبلغ القتلی من الهندیین فی دهلی مائة الف ونیّفاً وسالت بدمائهم الشوارع ولم یغمد السیف الا بعد ثلٰثة ایام؛

ولم یُفِق اهل دهلی والمسلمون من سکرتهم، فاجتمع علیهم المرهتة والسکھ اجتماع الأکلة علی القصعة، وفی کل یوم غارة ونهب، وسلب، واهانة وجلاء، فخربت قریٰ کثیرة وهدمت مساجد ذُکر فیها اسم اللّٰه کثیرا، وعجز المسلمون عن مقاومتهم ودخل فی قلوبهم الجبن والخوف؛

هنالك رحم اللّٰه هذه الامة الهندیة فبعث لها احمد شاه الأبدالی من

افغانستان سنة ١١٧٤ھ فنازل المرهتة فى ساحة بانى بت وقتل منهم نحو مائتى الف و هزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة ؛

وفى هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلى رجلا عظيما وهو الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم فنادى بالمسلمين الى الدين وانتقد الاهواء الجائرين والشيوخ المبتدعين وخرّج العلماء الراسخين والدعاة المخلصين وصنف الكتب البديعة فى علوم الدين ؛

واشتهر هو وأبناءه النجباء — الشيخ عبد العزيز والشيخ رفيع الدين والشيخ عبد القادر وابن ابنه الشيخ اسمعيل — دفنين بالاكوت — من ساق الجد فى خدمة الدين، فمن مترجم للقرآن ومن شارح للحديث، ومن مفتيه يُضرَب اليه أكباد الابل، ومن مزكٍّ للنفوس، ومن مدرّس للحديث الشريف، ومن مجاهد بالسيف

وشهيد فى سبيل الله ومن مهاجر الى بيت الله
والهند تباهى بعد البيت الشريف الأقطار الأخرى تمثل
اولئك آبائى فجئنى بمثلهم   اذا جمعتنا يا جرير المجامع

السنارة تتحدث

(٣)

أراك يا سيدى قد سئمت حديثى وطول القيام هنا فاصبر قليلا لعلى اخفف عن نفسى بعض ما أجده من الحزن ؛

نسيت ان أذكر لك أن الانكليز قد دخلوا فى الهند فى القرن السادس عشر المسيحى تجارا وأسسوا شركة تجارية سموها" الشركة الهندية الشرقية"، وكانت بذرة فساد اغفلها الملوك المسلمون فى بساطتهم وحسن ظنهم، وبقيت هذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية نطمح رجالها الى الملك والسياسة وصاروا يتدخلون فى الامور ويحرشون بين الامراء

ويضربون بعضهم ببعض وينتهزون فرصة بعد فرصة حتى اصبحوا قوة فى الهند ؛

ولم يزل امر الانكليز يقوى وامر الهنديين يضعف حتى أخذوا فى الجنوب كرناتك وفى الشرق كلكته ، وذلك كله بمال الهند ورجالها لم يبذلوا فى سبيل ذلك درهما ولا دما من قبل انفسهم ؛

وقد عُنِىَ بأمر الانكليز فتى شهم وهو النواب سراج الدولة أمير مرشد اباد وكانت بينه وبين الانكليز وقعة فى بلاسى سنة ١٧٥٧م غدر فيها الوزير مير جعفر وانسل الى الانكليز فانهزم سراج الدولة وانتقلت مقاطعة بنگال الى الانكليز ؛

واجتهد الامراء مرة ثانية واجتمع مير قاسم ختن مير جعفر أمير مرشد اباد وشاه عالم ملك دهلى والنواب شجاع الدولة امير اوده بجنودهم الكثيفة وقاتلوا الانكليز

وهم اقلّ منهم عددا ولكن احسن منهم نظاما فانهزم الهنديون وانكسروا فى ساحة بكسر سنة ١١٧٨هـ ١٧٦٤م فكان برهانا على ان النظام يغلب الزحام، وكانت للانكليز اليد العليا والكلمة النافذة ما بين كلكته ودهلى؛

ثم قام الفتى الأبىّ الغيور السلطان ٹيپو أمير ميسور وقاتل الانكليز قتالا شديدا وهزمه الانكليز بقوة المسلمين والمرهتة سنة ١٢١٤هـ ١٧٩٩م وغدر الوزير مير صادق وانسلّ الى الانكليز ومات السلطان الشهيد فى ساحة القتال موت الاحرار الابطال مدافعا عن دينه ووطنه؛

وأراد الله ان يبتلى اهل الهند فمنحهم فرصة أخرى فنهضت عصابة من الشبّان المخلصين يقودها فتى من اهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاء من الشرق كنت أراه كثيرا فى مدرسة الشيخ عبد العزيز

ومسجد الشيخ عبد القادر واشتهر سريعا باسم السيد احمد وتهافت عليه الناس من كل جانب وبايعه محمد اسمعيل ابن اخي الشيخ عبد العزيز وعبد الحي ختن الشيخ وعالم دهلي الكبير والعلماء والصلحاء وطاف هؤلاء في البلدان والقرى وبثوا دعوة الرجوع الى الدين والتمسك بالكتاب والسنة واشعلوا في الصدور شعلة الجهاد واجتمع حولهم اناس هم خير من وقعت عليهم عيني دينا وعبادة وخلقا ومعاشرة وغيرة وحماسة فكانوا بالليل رهبانا وبالنهار فرسانا، وفي الدين أبدالا وفي القوة أبطالا،

وهاجر هؤلاء سنة ١٢٤٢ الى ثغور الهند ورفعوا راية الجهاد ضد السكه وبايع الناس إمامهم سيد احمد، وكانت الحروب بينهم وبين السكه سجالا، وسمعت بعد قليل انهم

فتحوا أرضا واسعة وأسسوا امارة على منهاج الخلافة الراشدة ونفذوا فيها أحكام الشرع وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وفتحوا بشاور عاصمة الثغور، فعظم شانهم وكاتبوا أمير بخارا وچترال وأمراء افغانستان وكانوا يريدون ان يقيموا دولة شرعية مستقلة في الهند؛

كنت أسمع ذلك كله والناس يفرحون وأنا اخاف لانى لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر والخيانة وهما من امراض المسلمين ولم تذهب دولتهم الا بغدر المسلمين وخيانتهم ونفاقهم وسايحنى ياسيدى فى هذا العتاب المر فلى العذر. وكنت أخاف ذلك خاصة فى تلك البلاد ولم تمض ياسيدى ايام قليلة حتى وقع ماكنت احذره فقد سمعت انه غدر بهم

الأمراء الأفغان وقتلوا نوّابهم وعمّالهم سعداً وقياما وسمعت انهم الآن في طريقهم الى كشمير ؛

ثم سمعت بعد ايام انهم دهمهم العدوّ في وادي بالاكوت في جبال هزارا ، وذلك بدسيسة بعض المسلمين ايضا — وقتل اكثرهم ولم ينج منهم الا القليل ، وكانت هذه الحادثة الاليمة سنة ١٢٤٦هـ ؛

وهكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة ولله الأمر من قبل ومن بعد ؛

وأعود الى حديث الانكليز وأقول انهم اختلقوا ذنوبا على الأمراء كما سمعت في قصة الذئب والنعجة وانتزعوا بنجاب والسند ، وبرما واودهوا متلكوها ؛

وانتبه الهنديون من سباتهم واجتهدوا ان يتخلّصوا من الانكليز سنة ١٨٥٧ء فكانت ثورة كبيرة ولكن فشلت ايضاً

بسوء نظام الهنديين، ورسخت أقدام الانكليز
وعاقبوا الهنديين عقابا شديدا، وعذبوهم
عذابا أليما وفتكوا بالبيت الملكي فتكا شديدا
وأسروا بهادر شاه ونفوه الى رنگون؛

ومن ذلك اليوم أفل نجم المسلمين في
هذه الديار وانحطوا في الدنيا والدين
ورضوا بالذل والعبودية، وفسدت الاخلاق
وسقطت الهمم، وضاقت الارزاق، وغلت
الاسعار، وعمت المجاعات، وعُطّلت المدارس
وأقفرت الزوايا، وأوحشت المساجد،
في سنة ١٩٤٧م تحررت البلاد من الانكليز ووقعت اضطرابات هائلة
وهاجر كثير من المسلمين من بلادهم وقامت لهم دولة في شمال الهند
الغربي وبقي سائرهم حولي في الحكومة الهندية وقد فقدوا نشاطهم واستولى عليهم اليأس

ولست قانطا يا سيدي من رحمة الله
« وَهَلْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ »
ولم أيأس من نهضة المسلمين فاني
رأيتهم طول هذه المدة كالشمس اذا

غربت فى جهة طلعت فى جهة أخرى، وانهم
سيغيب لهم نجم الا وطلع لهم نجم آخر؛
فان مستقبل العالم معقود بناصيتهم وان
الله لا يحب الفساد فى الارض ولا يرضى لعباده
الكفر؛

اقرأ على امتك منى السلام، وقل لها
انى اشهد الله ان هذه الامة ما افلحت الا
بالتمسك بالدين وما خسرت الا بالغفلة عن
الدين، لن يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح
اولها، هذا الذى شهدته واختبرته فى
هذه القرون المتطاولة ولا ينبئك مثل
خبير؛

ولما انتهت السارة من كلامها، انصرفت
عنها ورجعت الى مكانى وبت ليلتى افكر فى
... وبادرت فى الصباح فقيدت
حديث السماء؛

عمر بن الخطاب والعجوز

قال ابن عباس رأيت عمرا
يجول ليلاً وهو قد تنكرا
قلت له وقد تولى في العجب
تقصد من ؟ قال أحياء العرب !
أراقب الظالم والمظلوما
كيلا أكون في الورى ملوما
حتى إذا أدركه أطراف الحمى
في سيره رام الرجوع إنما
رأى عجوزاً حولها الأولاد
يبكون من جوع وقد تمادوا
في الحزن والبكاء حتى عيلوا
صبراً وأمهم غدت تقول
مهلاً بني فالبكا حرام
عما قليل ينضج الطعام

هٰذَا وَتَحْتَ قِدْرِهَا قَدْ أَشْعَلَتْ
نَارًا وَفِي الْقِدْرِ بِالْمِيَاهِ قَدْ مَلَأَتْ
لَكِنَّهُ طَالَ بِنَا الْوُقُوفُ
وَلَمْ يَقَعْ فِي يَدِهِمْ رَغِيفُ
وَعُمَرُ لَمَّا رَأَى مَا هَالَهُ
دَنَا إِلَيْهَا قَائِلًا يَا خَالَةُ
مَالِي أَرَى الْأَوْلَادَ يَبْكُونَ وَلَا
يَرِقُّ قَلْبُكِ لَهُمْ حَتَّى عَلَا
صُرَاخُهُمْ وَأَنْتِ تُسْكِتِينَا
لَهُمْ طَعَامُهُمْ فَيَأْكُلُونَا
فَهَزَّتِ الْعَجُوزُ رَأْسَهَا لِمَا
هُنَالِكَ سَمِعَتْهَا وَقَالَتْ إِنَّمَا
تَرَاهُ يَا مَوْلَايَ فِي الْقِدْرِ عَلَى
لَيْسَ بِأَكْلٍ يُشْتَهَى أَنْ يُؤْكَلَا
بَلْ تِلْكَ وَاللهِ عُلَالَةٌ لَهُمْ
نَشْغَلُهُمْ عَنْ جُوعِهِمْ لَعَلَّهُمْ

إِنْ سَمِعُوا الْبُكَاءَ وَ الْعَوِيلَا
فِي الْإِنْتِظَارِ رَقَدُوا قَلِيلَا

(٢)

فَرَقَّ قَلْبُ عُمَرَ لِقَوْلِهَا
وَنَظَرَ الْقِدْرَ فَلَمْ يَلْقَ بِهَا
غَيْرَ حَصًى عَلَى غَلْيِهِ الْمَاءُ
فَاسْوَدَّ مِنْ بُخَارِهِ الْهَوَاءُ
فَقَالَ يَا خَالَةُ لِمَ لَمْ تَذْهَبِي
إِلَى الْإِمَامِ عُمَرَ وَ تَطْلُبِي
مِنْهُ فَقَالَتْ سَيِّدِي عَلَامَا
قَاتَلَ رَبِّي ذَلِكَ الْإِمَامَا
يَتْرُكُ مِثْلِي مَا لَهَا بَيْنَ الْمَلَا
أَخٌ وَلَا زَوْجٌ وَلَا مَالٌ وَلَا
فَقَاطَعَ الْإِمَامُ قَوْلَهَا وَقَدْ
كَانَ عَلَى قَلْبِهِ سَهْمًا لَا يُرَدْ
وَقَالَ مَنْ يُعْلِمُهُ بِحَالِكِ
قَالَتْ وَمَا تِلْكَ فِعَالُ الْمَالِكِ

وَهُوَ كَرَاعٍ إِنْ يُفَارِقْ غَنَمَهُ
أَضَاعَ مِنْ حِذَائِهِ مَا قَدَّمَهُ
قَالَ صَدَقْتَ عَلِّي الصِّغَارَا
وَبَعْدَ حِينٍ رَاجِعٌ وَسَارَا
وَقَالَ لِي أَسْرِعْ بِمَا قَبْلَكُمَا
يُمْسُونَ مِنْ حُزْنٍ وَجُوعٍ نُوَّمَا
وَمَا بَلَغْنَا خَزْنَةَ الدَّقِيقِ
حَتَّى انْثَنَى وَقَالَ يَا رَفِيقِي
إِرْفَعْ مَعِي ذَا الْكِيسَ فَهُوَ حِمْلَتِي
وَأَنْتَ وَإِيَّايَ بِتِلْكَ الْحُجْرَةِ
وَمِلْؤُهَا سَمْنٌ فَقُلْتُ أَمْرُكَا
أَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَطُولَ عُمْرُكَا

——(٣)——

فَحِينَمَا تَنَاصَفَ الطَّرِيقُ
نَظَرْتُهُ فَلْهَتْ وَالدَّقِيقُ
يَنْهَالُ فَوْقَ وَجْهِهِ وَلِحْيَتِهْ
فَمِلْتُ كَيْ أُرِيحَهُ مِنْ حِمْلَتِهْ

فقال إن حملت عني حملتي
فمن ترى يحمل في القيامة
عني ذنوبي وهي من فرط الزلل
تزيد عن رضوى لعمري في الثقل
وإذ أتى بيت العجوز وضعا
شيئا من الدقيق والسمن معا
في قدرها وأضرم النيرانا
حتى غدوت أنظر الدخانا
يصعد من خلال شعر لحيته
فقلت أين عمر في رفعته
حتى إذا ما أكلوا وناموا
من فرح قال لها الإمام
إن امرؤ من نسب الأمير
فإن رأيت في الغداة سيري
يسعى إلى دار الأمان وأنا
أطيعه ما دار فيما بيننا

(٤)

وَحِينَمَا سَارَتْ أَجَابَتْ نَظَرَا
فَأَدْرَكَتْ أَنَّ الإِمَامَ عَسْكَرَا
ذَالِكَ الَّذِي قَدْ زَارَهَا لَيْلاً فَمَا
رَأَتْهُ حَتَّى خَضَبَتْ لَوْنَ الدِّمَا
فَأَدْرَكَ الإِمَامُ أَنْ قَدْ خَجِلَتْ
بِمَا بَدَا مِنْهَا لَهُ إِذْ جَهِلَتْ
أَمْرَهُ فَانْثَنَى إِلَيْهَا قَائِلاً
لَا تَجْزَعِي فَإِنْ تُخَيِّبْ سَائِلاً
يُخَيِّبُ اللهُ لَنَا الرَّجَاءَ
ثُمَّ دَعَا غُلَامَهُ فَجَاءَ
بِصُرَّةٍ مِنْ مَالِهِ دَفَعَهَا
إِلَى الْعَجُوزِ إِنَّمَا شَفَعَهَا
بِرَاتِبٍ يُعْطَى لَهَا شَهْرِيَا
فَشَكَرَتْ إِنْعَامَهُ مَلِيَّا

الامام ابوحامد الغزّالی

وُلِد ابوحامد محمد الغزّالی بطوس ٤٥٠ھ
وکان والده یغزل الصوف ویبیعه فی دکانه
بطوس وکان فقیراً صالحاً لا یاکل الا من
کسب یده ویطوف علی المتفقهة ویجالسهم
وینفق علیهم بما یمکنه وکان اذا سمع
کلامهم بکی وتضرع وسأل الله أن
یرزقه ابنا فقیها واعظا فاستجاب الله
دعوته ولما حضرته الوفاة وصّی به وبأخیه
احمد الی صدیق له من اهل الخیر فلما
مات اقبل الرجل علی تعلیمهما الی ان فنی
ذلك الذی کان خلّفه لهما ابوهما فقال
لهما اعلما انی قد انفقت علیکما ما کان لکما
وأنا رجل فقیر لا مال لی، فاری ان تلجأ
الی مدرسة فانکما من طلبة العلم فیحصل
لکما قوت یعینکما علی وقتکما ففعلا ذلك وکان

هو السبب فى سعادتهما وعلو درجتهما ؟

قرأ الغزالى فى صباه طرفا من الفقه ببلده على احمد بن محمد الراذكانى ثم سافر الى جرجان الى الامام ابى نصر الاسماعيلى وعلق عنه التعليقة ثم رجع الى طوس قال الغزالى قطعت علينا الطريق وأخذ العيارون جميع ما معى ومضوا فتبعتهم فالتفت الى مقدمهم وقال ارجع ويحك والا هلكت فقلت له أسألك بالذى ترجوا السلامة منه ان ترد على تعليقتى فقط فما هى بشئ تنتفعون به فقال لى وما هى تعليقتك فقلت كتب فى تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم ثم أمر بعض اصحابه فسلم الى المخلاة قال الغزالى هذا مستنطق أنطقه الله

ليرشدني به في أمري فلما وافيت طوس اقبلت على الاشتغال ثلاث سنين حتى حفظت جميع ما علقته وصرت بحيث لو قُطِعَ على الطريق لم اتجرد من علمي؛

وقدم الغزالي نيسابور ولازم امام الحرمين وجد واجتهد حتى برع في المذهب والخلاف والجدل والاصلين والمنطق وقرأ الحكمة والفلسفة واحكم كل ذلك وفهم كلام ارباب هذه العلوم وتصدى للرد عليهم وابطال دعاويهم وصنف في كل فن من هذه العلوم كتبا جليلة؛

ولما مات امام الحرمين خرج الغزالي الى العسكر قاصدا الوزير نظام الملك اذ كان مجلسه مجمع اهل العلم، فناظر الائمة العلماء في مجلسه وقهر الخصوم وظهر كلامه عليهم واعترفوا بفضله وتلقاه الصاحب بالتعظيم والتبجيل وولاه تدريس مدرسة

ببغداد وامره بالتوجه اليها فقدم بغداد فى سنة ٤٨٤ ودرّس بالنظامية واعجب الخلق حسن كلامه وكمال فضله وفصاحة لسانه ونكته الدقيقة واشاراته اللطيفة واحبوه واقام على تدريس العلم ونشره بالتعليم والفتيا والتصنيف مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مسموع الكلمة مشهور الاسم وعلت حشمته ودرجته فى بغداد حتى كانت تغلب حشمة الاكابر والأمراء ودار الخلافة :

ثم تابعت نفسه مما كان فيه من الجاه وكثرة الطلبة والاقتدار على العلوم وتدريسها واعتراه شك فى العلوم وظهر له انه لا مطمع فى سعادة الآخرة الا بالتقوى وكف النفس عن الهوى والاقبال على الله تعالى وان ذلك لا يتم الا بالاعراض عن الجاه والمال وفكر فى نفسه فاذا هو مقبل

على علوم غير مهمة ولا نافعة فى طريق الآخرة وتفكر فى نيته فاذا هى غير خالصة لوجه الله تعالى فتيقن انه على خطر، ولم يزل يفكر فى مفارقة بغداد وترك التدريس قريبا من ستة اشهر حتى غلب ذلك عليه واعتقل لسانه عن التدريس واورث ذلك حزنا فى القلب بطل معه قوة الهضم وتعدى الى ضعف القوى حتى يئس منه الاطباء واشاروا عليه بالترويح وخف عليه الاعراض عن الجاه والمال ففارق بغداد وفرق ما كان معه من المال ولم يدخر الا قدر الكفاف وحج البيت الحرام ثم دخل الشام واقام به قريبا من سنتين لا شغل له الا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى ثم توجه الى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد الى دمشق

؛ اعتكف بالمنارة الغربية من الجامع وصنف التصانيف المشهورة لم يُسبَق اليها مثل احياء علوم الدين وصادف دخوله يوما المدرسة الامينية فوجد المدرس يقول قال الغزالى وهو يدرس من كلامه فخشى الغزالى على نفسه العُجب ففارق دمشق واخذ يجول فى البلاد فدخل منها الى مصر و توجه منها الى الاسكندرية فاقام بها مدة واستمر يجول فى البلدان و يزور المشاهد و يروض نفسه ويجاهدها واستفاد من صحبة الشيخ ابى على الفارمدى وانكشفت عليه علوم وحكم دعلت مداركه دعاد الى الوطن وأثر العزلة ؛

والزم بالعود الى نيسابور والتدريس بها بالمدرسة النظامية فاجاب الى ذلك بعد تكرار معاودات ودرس مدة يسيرة و كل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق

ثم رجع الى مدينة طوس واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وزاوية للصوفية ووزع اوقاته على وظائف من ختم القرآن ومجالسة ارباب القلوب والتدريس لطلبة العلم وادامة الصلاة والصيام وسائر العبادات بحيث لا تخلو لحظة من لحظاته ولحظات من معه عن فائدة الى ان انتقل الى رحمة الله تعالى فى يوم الاثنين ١٤ جمادى الاخرة سنة ٥٠٥ هـ

قال اخوه احمد لما كان يوم الاثنين وقت الصبح توضأ أخى ابو حامد وصلى وقال علىّ بالكفن فاخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعا وطاعة للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة ومات قبل الاسفار ؛

وكانت خاتمة امره اقباله على حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ومجالسة

أهله ومطالعة الصحيحين البخاري ومسلم ومات وكتاب الصحيح للبخاري على صدره؛

كان الغزالي شديد الذكاء وسديد النظر عجيب الفطرة عالي الهمة مفرط الادراك قوي الحافظة بعيد الغور غواصا على المعاني الدقيقة مناظرا قوي الحجة؛

بين والد جندي وولد فقيه

خرج فروخ ابو عبد الرحمن في البعوث الى خراسان أيام بني امية غازيا، وولده ربيعة حمل في بطن امه، وخلف عند زوجته ام ربيعة ثلاثين الف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرسا في يده رمح، فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه، فخرج ربيعة، فقال له يا عدو الله اتهجم على منزلي؟ فقال لا، وقال فروخ يا عدو الله أنت رجل دخلت

على حرمتي، فتواثبا وتلبب كل واحد منهما بصاحبه، حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن انس، والمشيخة فاتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول، والله لا فارقتك الا عند السلطان وجعل فروخ يقول : والله لا فارقتك الا بالسلطان، وأنت مع امرأتي، وكثر الضجيج، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم، فقال مالك : ايها الشيخ لك سعة في غير هذه الدار، فقال الشيخ هي داري وانا فروخ مولى بني فلان فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجي، وهذا ابني الذي خلفته وانا حامل به، فاعتنقا جميعا وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال هذا ابني؟ قالت نعم! قال فاخرجي المال الذي لي عندك، وهذه معي اربعة آلاف دينار، فقالت المال قد دفنته وانا اخرجه بعد أيام؟

فخرج ربيعة الى المسجد وجلس فى حلقته، واتاه مالك بن انس، والحسن بن زيد، وابن ابى على اللهبى والمساحقى، واشراف اهل المدينة واحدق الناس به، فقالت امرأته اخرج صل فى مسجد الرسول، فخرج نصلى، فنظر الى حلقة وافرة، فاتاه فوقف عليه، ففرجوا له قليلا، ونكس ربيعة رأسه يوهمه انه لم يره، وعليه طويلة، فشك فيه ابو عبد الرحمن، فقال من هذا الرجل؟ فقالوا له هذا ربيعة بن ابى عبد الرحمن، فقال ابو عبد الرحمن، لقد رفع الله ابنى، فرجع الى منزله فقال لوالدته لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت احداً من اهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه : أيتما أحب اليك ثلاثون الف دينار، او هذا الذى هو فيه من الجاه؟ قال لا والله، الا هذا، قالت فانى انفقت المال كله عليه قال فوالله ماضيعته.

« تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٤٢١-٤٢٢ »

فاكهة الهند

ان كنت تبغي اطيب اللذات
فعليك صاح بانبه الثمرات
في حسن مرأى في نباهة سيرة
في لطف ذات في سمو صفات
يا حسن حمرتها وخضرتها وصفـ
ـرتها على الأشجار في الروضات
وترى ثماراً عُلّقت في غصنها
مختوم راح في آكث [illegible]
لم يختلف كمثالها الاثمار في
الالوان والاذواق والهيئات
هذا ولا تحسبه صنفا واحدا
بل جملة الاصناف مختلفات
سبحان من بالفضل فضلها على
اشهى مذوقات ومشمومات

بالجامعية فانت الاشخاص كا
الانسان فاق جميع حيوانات
جبل القدير الفرد من فى ثمرة
بالصنع يجمع سائر الثمرات
واذا تجلى فى الغصون رأيته
دان الثمرات بجيد موصوفات
لله در بهائها ودنائها
من غصنها تنساق بالعبرات
الحرفيه منتهى صاحباته
تغنيه عن ماء وعن اقوات
واذا دعاك الله صاح فواته
وتستعر به تبيل نواة
فاذا انقضت ايامه كالبرق لا
يجديك شيئا سوى الحسرات
لا غرو ان قصرت مداها ان أيا
م السرور تمر كالساعات

يا صاح ما هذا الجمود فقم بنا
نخرج الى الأنهار والدوحات
فالغيم تبكي مثل صب هائم
والبرق يضحك نحو مبتسمات
والورق يصفق بالتفات غصونه
والطير يسجع باختلاف لغات
وما ترى الماء المبارك كيف ا
نبت ساقي الانهار والجبات
فدع اننسك ساعة بخلاعة
نقضي فرائض هذه الاوقات
نلهو ونتلو الى الثمار وجهها
ونشورها ببدائع الحركات
نفنى شرور الدهر عنا يومنا
بترنم يحيى العظام رفات
ولئن يلمك اللائمون نقل لهم
الاضطرار يبيح محظورات
(الشيخ ذو الفقار على الديوبندى)

حديث القمر

(١)

كانت السماء مصحية لا غيم فيها والليلة مقمرة وكان هشام يطالع القمر كأنما يطالع في كتاب ؛

وكان أبوه يرى ذلك في الليالي المقمرة فأراد ان لا يضيع هذا النظر ولا يخلو من درس ؛

قال الوالد يا هشام أراك تنظر الى القمر طويلا كأنك تتمتع بمنظره ؛

هشام :— نعم يا ابي ان منظره جميل جدا لا اكاد املأ عيني منه ، ولو قدرت لنهضت اليه بسلم ؛

الوالد :— وكم تقدر بعده يا هشام اي سلم او منارة تراها تكفيك للصعود الى القمر ؛

هشام :- انی لم أرَ یا أبی سلمًا رفیعًا جدًا؛ لكنی أختار إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ینعت منارة قطب الدین فی دهلی لأ مكن الصعود الی القمر؛

الوالد :- وكم ارتفاع منارة قطب الدین یا هشام؟

هشام :- سمعت ان ارتفاعها مائتان و اثنتان واربعون قدما او ثمانون ذراعاً وذلك ارتفاع كبیر؛

الوالد :- سبحان الله انك ولد بسیط، ان القمر یا ولدی یبعد من الأرض مائتی الف وخمسین الف میل وهو اقرب الكواكب الی الأرض؛

هشام :- ففی كم مدة یصل الانسان الی القمر اذا سافر الیه؟

الوالد :- اذا سافر الانسان الی القمر فی قطار یسیر خمسین میلا فی ساعة فانه

يصل الى القمر فى نحو سبعة اشهر؛

واذا كانت الطائرة تطير خمس مائة اميال فى ساعة فالانسان يصل الى القمر بالطائرة فى يومين و عشرين ساعة؛

هشام: — يا سبحان الله! وسمعتك يا أبى تقول ان الشمس اقرب الكواكب الى الأرض فهل القمر كوكب؟

الوالد: — نعم يا ولدى. القمر والشمس والأرض يا ولدى كلها كواكب منها القريب ومنها البعيد ومنها الصغير ومنها الكبير؛

هشام: — شئ غريب، فهل الشمس اقرب الكواكب الى الأرض ولذلك نورها ساطع وقوى جداً؟

الوالد: — لا يا ولدى الشمس تبعد من الأرض مقدار تسعين مليونا وثلاثة ملايين فالانسان يصل الى الشمس فى ذلك القطار فى مائتى عام وعشرة اعوام؛

هشام: — الله أكبر، ولأي شئ هي ساطعة و واضحة جداً؟

الوالد: — لأنها أكبر من الأرض مليون وثلاث مائة ألف مرة تقريباً ولولا هذا البعد الشاسع لكانت أسطع وأوضح!

هشام: — وهل هذه النجوم التي نراها كالنقط صغيرة جداً؟

الوالد: — لا يا ولدي إن بعض النجوم أكبر من الشمس بكثير، لكنها بعيدة عنا [illegible] بكثير، حتى إن بعضها لا [illegible] إلا [illegible]!

حديث القمر

(٢)

هشام: — وكيف الناس في عالم القمر، وكيف حياتهم واحدة فهو كيف [illegible] وهل في المدارس اختبار سنوي، وكتب صعبة ومعلمون غلاظ؟

الوالد :ــــ إنك تسأل وتحدث ، وهل اذا اخبرتك بأن عالم القمر ليس فيه مدارس او هنالك مدارس ولكن ليس فيها اختبار وامتحان ، والمعلمون كلهم رحمة وشفقة لا يعاقبون ولا يغضبون فهل تهاجر من الأرض الى القمر ؟

هشام :ــــ نعم يا أبي اذا هاجرت معي وهاجرت معنا امي واسرتنا ولكني أعدك بأني أقرأ هنالك ايضاً .

الوالد :ــــ يؤسفك أن القمر ليس فيه عمران ولا يوجد فيه السكان بل هو قاع صفصف لان البرد هنالك شديد لا يطيقه الانسان ؛

هذا ما وصل اليه الانسان وانتهى اليه علمه إلى هذا الوقت ومن يدري لعله يثبت بخلاف ذلك غدا فان علم الانسان ناقص ، هو كالكوكب السيار يتحول ويتغير ،

فقد نقض العلم الحديث العلم القديم ومن يقدر ان يقول انه لا ينقض هذا الحديث احدث منه واحكم منه، فالآلات تتحسن وترتقي والانسان في اكتشاف واختبار؛

فبالامس كان الناس يعتقدون ان الشمس تدور حول الأرض وان الأرض ساكنة مسطحة ويستدلون على ذلك بكل شيء، ثم اثبتوا بالدلائل والاختبار أن الأرض مستديرة كروية الشكل تدور حول الشمس، واذا خالف ذلك انسان رأى اليه الناس شزرا وظنوا انه من رجال القرون الماضية!

حديث القمر

(٣)

هشام: — ومن اين هذا النور يا أبي وهل هنالك شمس أخرى؟

الوالد: — هذا النور عارية من الشمس.

فان نور الشمس ينعكس فى القمر فيستنير كما ينعكس نور المصباح فى المرآة اذا قابلت المصباح فتستنير المرآة ؛

هشام :ـــ وما هو الخسوف يا أبى ؟ فقد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوفا ، ورأيت الناس يتصدقون ويُصلّون ؛

الوالد :ـــ القمر يدور حول الأرض و . . . .

هشام :ـــ وهل القمر اصغر من الأرض ؟

الوالد :ـــ نعم الارض اكبر من القمر خمسين مرة ، فالقمر يدور حول الأرض ، والأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس فاذا حالت الأرض بين القمر والشمس اصبحت حجابا للقمر وانقطع عنه نور الشمس واظلم القمر فاذا حجبت الأرض جرم القمر كله ؛ حتجب القمر كله واذا حجبت بعض جرمه احتجب واظلم هذا الجزء فقط ؛

هشام :ـــ لم افهم ذلك جيدًا يا أبى !

الوالد :- أنظر هذا مصباح منير، وهذه مرآة مصقولة، وقد اشرقت المرآة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزي ؟

هشام :- بلى يا سيدي !

الوالد :- ولماذا اظلمت هذه المرآة الآن وأين ذهب النور المنعكس فيها ؟

هشام :- لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرآة والمرآة المستنيرة ليس نورها فيها بل يأتيها من المصباح !

الوالد :- صدقت يا ولدي، وكذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيراً بنورها حتى يحول بينهما حائل والحائل هو الأرض فقط !

هشام :- ولماذا لا تحول الأرض دائما بين بين الشمس والقمر. ولماذا لا يخسف القمر دائما ؟

الوالد :- احسنت السؤال وذلك لان القمر يتزحزح قليلاً قليلاً عن مكانه في الدوران

فلا تجتمع الشمس والقمر والأرض على خط واحد الا فى النادر واذن ينخسف القمر او تنكسف الشمس ؛

هشام : — ولا بد ان الشمس تنكسف اذا حال القمر بين الشمس والأرض فيحجب نور الشمس عن الأرض بطبيعة الحال ؛

الوالد : — انك لولد فطن وقد اصبت فى القياس ؛

هشام : — وماذا ينبغى لنا ان نعمل عند الكسوف والخسوف ؛

الوالد : — كان الناس فى قديم الزمان يعتقدون ان الشمس والقمر انما ينكسفان لحادثة مهمة فى الأرض لموت رجل جليل مثلا ومات ابراهيم بن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا انما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى

دخل المسجد فدخل المسلمون فصلّى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال «ان الشمس والقمر لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتموها فصلّوا وادعوا حتى يكشف ما بكم».

وقال «انهما آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحياته فاذا رأيتموها فافزعوا الى الصلوة».

السلطان مظفر [illegible]

السلطان الفاضل العادل المحدث الثاني مظفر بن محمود بن محمد بن احمد بن محمد بن مظفر الكجراتي ابو النصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب الرياستين ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة خمس وسبعين وثمان مائة بأرض كجرات ونشأ في عهد السلطنة ورضع من لبان العلم

ونشأ فى ايام ابيه . وقرأ على محب الدين محمد بن محمد الايجى العلامة وعلى غيره من العلماء واخذ الحديث عنه وعن الشيخ حسن بن صاحب جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحميرى الحضرمى الشهير ببحرق، وتدرب فى الفنون الحربية حتى فاق اسلافه فى العلوم والادب وفى كثير من الفعال الحميدة وقام بالملك بعد والده يوم الثلثاء ثالث شهر رمضان سنة ٩١٧ من الهجرة وافتتح امره بالعدل والسخاء والنجدة والجهاد وسد الثغور واكرام العلماء .

وكان غاية فى التقوى والعزيمة والعفو والتسامح عن الناس ولذلك لقبوه بالسلطان الحليم، وكان جيد القريحة سليم الطبع، حسن المحاضرة عارفا بالموسيقى مشاركا فى اكثر العلوم والفنون، ماهرا فى الفنون الحربية من الرمى والضرب بالسيف والطعن

بالرماح والفروسية والمصارعة، خطاطا جميل الخط، كان يكتب النسخ والثلث والرقاع بكمال الجودة، وكان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه الى الحرمين الشريفين وحفظ القرآن فى حياة والده فى ايام الشباب؛

وكان يقتفى آثار السنة السنية فى كل قول وفعل ويعمل بنصوص الاحاديث النبوية وربما يتباكى الموت ويبكى ويكرم العلماء ويبالغ فى تعظيمهم وكان لا يحسن الظن بمنجم منجم فى بداية حاله ثم مال اليهم؛

ولم يزل يحافظ على الوضوء ويصلى بالجماعة ويصوم رمضان ولم يقرب المسقط، ولم يتع فى عرض احد وكان يعفو ويسامح عن الخاطئين، ويجتنب الاسراف والتبذير ويبذل الاموال الطائلة على غير أهلها؛

وكان كثير التفحص عن اخبار الناس عظيم التجسس عن اخبار الممالك وربما يتزيه

ولباسه ويخرج من قصره أثناء الليل والنهار
ويطلع على الاخبار ويستكشف الاسرار ؛

قال الآصفي انه وصل اليه يوما من القاضي
بجانپانپور رسول الطلب وقد تظلم منه تاجر
غزنيل فلما بلغه وعلى ما كان عليه في حال الخلوة
اجاب الرسول وخرج ماشيا الى مجلس القاضي
وجلس مع خصمه بين يديه وادعى التاجر عليه
انه لم يصله ثمن افراسه وثبت ذلك وابى
التاجر ان يقوم من مجلسه قبل اداء الثمن
فحكم القاضي به فمكث السلطان مع خصمه
الى قبض التاجر الثمن ، وكان القاضي لما حضر
السلطان في المحكمة وسلم عليه لم يتحول من
مجلسه وما كفاه ذلك حتى انه امر ان لا
يترفع على خصمه ويجلس معه والسلطان
لا يعزم عن حكمه ولما قبض التاجر الثمن
سأله القاضي هل بقيت لك دعوى عليه و
قال لا ، فعند ذلك قام القاضي من مجلسه وسلم

على سلطانه على عادته فيه ونكس راسه فى ما
يعتذر به فقام السلطان من مجلسه مع الخصم
واخذ بيد القاضى، واجلسه فى مجلس حكمه
كما كان وجلس الى جنبه وشكره على عدم
مداهنته فى الحق حتى انه قال لو عدلت عن
سيرتك هذه رعاية لى لا نتصفت للعدالة
منك وانزلتك منزلة احادالناس لئلا
يأتى بعدك غيرك بما اتيت فجزاك الله عنى
خيرا، بوقوفك مع الحق فمثلك يكون
قاضيا، فاثنى عليه القاضى وقال مثلك
يكون سلطانا؛

قال الآصفى ومن برّه المستفيض لاهل
الحرمين الشريفين انه جهز مركبا وشحنه
بالقماش الثمين وارسله الى ميناء الحجاز
جدة وجعله ومافيه صلة لهم، وله بمكة
المشرفة رباط يشتمل على مدرسة وسبيل
وعمارة غيرها وعين وقفا يتجهز محصوله الى

مكة فى كل موسم للمدرسين بها وسدنته والطلبة
وسكنة الخلاوى والفقراء ومافى معناه ويجهز
سواه لاهل الحرمين وكان ذلك مستمرا فى
أيامه؛

ومن مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان
بخطه المنسوب كتبهما بقلم الثلث المجود
بماء الذهب وامامها خزانة مخصوص بالقراءة
فيهما وربعتان ايضا بخطه كذلك، وللمصحفين
والربعتين وقف مخصوص يجهز كل عام الى
الحرمين الشريفين لقارئى المصحف والربعة
ولاجرة شيخ الربعة ومفرقيها والحافظ لها
والداعى له عند الختم والسقاء فى الوقت
والنقيب والفراش تحت رأيه ذلك وكان
مستمرا الى شهادة السلطان محمود؛

السلطان مظفر الحليم الگجراتي

(٣)

ومن آثاره وفعاله انه لما تغلب [illegible] على [illegible] مالوه وضيق على المسلمين [illegible] محمود الخلجي صاحب مالوه عن رده وهرب عنها الى گجرات [illegible] السلطان مظفر الحليم من بلاده الى مالوه سنة ثلاث و عشرين وتسعمائة بعساكره فوصل الى دهار ثم الى مندو ونزل على القلعة وشرع في المحاصرة [illegible] اياما [illegible] فانه لما بلغه نزول السلطان بها قال [illegible] هذا المظفر ولا سبيل الى الحرب الا اذا حضر [illegible] سنگا صاحب چتور فاكفوني انتم القلعة وانا اسير اليه واجئ به وعلى هذا اوثق عهدهم وعزم بطلبه فلما نزل السلطان على القلعة خرج يوما فوج فيه نخبة من رجال القلعة على ان يشتبكوا بالمسلمين وكانوا محاذرين فشدوا عليهم وقتلوا منهم كثيرا وهرب الباقون وتركوا السيف واعتصموا بالخندق بسعة فطلبوا الامان لتسليم القلعة وترددوا فيه أياما ثم

سألوا الامان لاموالهم فلما اجيبوا طلبوا المهلة للجمعة ثم سألوا القباعد عن القلعة لما منوا فى الخروج فلما فعل ذلك بلغه وصول « رانگا سانگا » الى اجين فغضب السلطان و ركب الى ربوة مرتفعة هنالك وجلس عليها وأما الأمراء فكل منهم فى الكامل فى ظل علمه واقف تحت الربوة فطلب من بينهم عادل خان الفاروقى صاحب برهان پور وقلده امارة العسكر المجهز لحرب صاحب چتور وخلع عليه وقلده سيفا وحياصة وجبّا وتسعة من الخيل و حلقة من الافيال واوصاه وودعه وكذلك طلب فتح خان صاحب رادهن پور واعطاه مثله وكذلك طلب قوام خان ثم اوصاهما بعادل خان وودعهما ثم استدعى عسكر هولاء ووعدهم جميلا وخصّ وجوه العسكر بالاقبية وأمر بسائرهم بالتنبل على عادة الهند فى الرخصة لهم ونهض الى منزله الاول وجدّ فى اسباب الفتح

ودخل القلعة عنوة فى ثانى يوم نزوله وعمل السيف فيهم وكان آخر أمرهم انهم دخلوا مساكنهم وغلقوا الأبواب واشعلوها ناراً فاحترقوا واهليهم والسلطان تحت المظلة وهكذا محمود وهما يسيران رويداً رويداً والدماء تسيل كالعين الجارية فى سكك القلعة من كل جانب الى مخارج الماء منها وبلغ عدد القتلى من الكفرة تسعة عشر الفا سوى من غلق بابه واحترق وسوى اتباعهم، فلما وصل السلطان الى دار سلطنة الخلجى التفت اليه وهنأه بالفتح وبارك له فى الملك واشار بيده المباركة الى الباب وقال له بسم الله ادخلوها بسلام آمنين، وعطف عنانه خارجا من القلعة الى القباب ودخل الخلجى منزله واجتمع باولاده واهله وسجد شكراً لله سبحانه، فلما بلغ مدانى رأى شهق شهقة وغشى عليه وسمع رائا ساكنا بعادل خان وقد قرب من اجين فاضطرب

وقال لمدانی رای ما هذه الشهقة فقد قضی الامر فان عزمت علی ان تلحق باصحابك فها عادل خان يسمع نفيره ، والا فادرك نفسك ثم امر به فحمل علی فيل وخرج من احمدنكر الی جهاته خائبا، وتبعه عادل خان الی ديبال بور وتوقف بها حتى جاءه الطلب ؛

ثم ان الخلجی تفقد ذخائره وهيأ الضيافة ونزل الی مظفرشاه السلطان وسأله التشريف بالطلوع فاجابه ، فلما فرغ من الضيافة دخل به فی العمارات التی من آثار أبيه وجده فاعجب بها وترحم عليهم ثم جلسا فی جانب منه وشكره الخلجی وقال الحمد لله الذی أرانی همتك ما كنت أتمناه باعدائی ولم يبق لی الآن ارب فی شیء من الدنيا، والسلطان اولی بالملك منی وما كان له فهو لی ، فاسألك قبول ذلك وللسلطان ان يقيم به من شاء فالتفت السلطان اليه و قال له ان أول خطوتها الی هذه البهجة

كانت لله تعالى والثانية كانت لنصرتك وقد نلتها فالله يبارك لك فيه ويعينك عليه، فقال الخلجي خلا السلك من الرجال فاخشى ضياعه، فاجابه مظفر شاه الحليم وقال له اما هذا فسقبول سيكون آصف خان معك باثني عشر الف فارس [illegible] يجتمع رجالك، فطلب الخلجي أن يكون عنده ولده تاج خان والح عليه فاجابه الى [illegible] ووعده بالنصر في جميع الاوقات، وقال [illegible] مالك ولاصحابك كافة من الجراية والولاية عندي فهي على حالها الى ان ترجعوا الى منازلكم وما يعطيكم الخلجي فهو مضاف اليه [illegible] في الوقت وأمر الخلجي بخزانة [illegible] ودعه ونزل :

وقيل ان مظفر شاه لما فتح القلعة ودخلها [illegible] كان دولته ان يستأثر بها فالتفت الى الخلجي وقال له احفظ باب القلعة برجال لا يدعوا أحداً يدخلها بعد نزولي حتى من

ينتسب الى ، فطلب الخلجى أن يمكث أياما فتأبى
ونزل ثم بعد ثلاث اضافه الخلجى ودار به
فى المبانى التى لا يعرف لها نظير فى الهند
وانتهى الى بناء بابه مغلوق فاستفتحه ودخل
الى حجر هنالك فامر الطواشية بفتحها و
استدعاء من فيها فاذا بنساء برزن فى حلى و
حلل قل ان رأت العين مثلهن ، وبايديهن
اصناف الجواهر وما منهن الا من سلمت ونثرت
ما بايديها على قدم السلطان ، فاشار بان
يحتجبن لأن النظر الى الأجنبية لا يحل فقال
الخلجى كلهن ميلكى وأنا مالك والعبد وما ملك
لمولاه فدعا له وعاد الى قبابه ؛

فلما نهض للسير راجعا نزل الخلجى و معه
تاج خان وآصف خان وشيعه الى حدة وسأله
الدعاء ورجع ورخص السلطان لعادل خان
فرجع الى برهان بور ، ووصل السلطان بالفتح
والدعاء الى جانپانير وكان يوم دخوله مشهوداً

كثر فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى ؛

وكان فتح مندو فى ثانى عشر من صفر سنة اربع وعشرين وتسع مائة ، وهو من نوادر الوقائع لا يذكر مثله لاحد من ملوك الهند وسلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد ؛

واعجب من ذلك ان هذا الخلجى واسلافه كانوا من اعداء دولتهم فان جده محمود شاه الخلجى الكبير كان سامحه الله يصول عليهم مرة بعد أخرى وفى كل مرة يخسر ويخيب فى امله ، وابوه غياث الدين الخلجى خرج الى گجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الگجراتى الكبير وكذلك جده فى ايام محمد شاه الگجراتى سامحهما الله تعالى ولله در من قال ؛

هيهات لا ياتى الزمان بمثله

ان الزمان بمثله لبخيل

السلطان مظفر الحليم الگجراتي

(٣)

قال الآصفي وفي سنة احدى وثلاثين و تسعمائة خرج السلطان الى مصلى العيد للاستسقاء و تصدق و تفقد ذوى الحاجة على طبقاتهم و سألهم الدعاء ثم تقدم للصلاة و كان آخر ما دعا به كما يقال اللهم انى عبد لك و لا املك لنفسى شيئا فان تك ذنوبى حبست القطر فها ناصيتى بيدك فاغثنا يا ارحم الراحمين قال هذا و وضع جبهته على الارض و استمر ساجدا يكرر قوله يا ارحم الراحمين فما رفع راسه الا و هاجت ريح و نشأت سحابة ببرق و رعد و مطر ثم سجد لله شكراً و رجع من صلاته بدعاء الخلق له فهو يتصدق و ينفح بيده بالمال يميناً و شمالاً ؛

وبعد الاستسقاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعفت المعدة .... وفى خلال ذلك عقد مجلسا حفلا بسادة الأئمة ومشائخ الدين وصوفية اليقين واجتمع بهم وتذاكروا فى ما يصلح بلاغا للآخرة، الى ان تسلسل الحديث فى رحمة الله سبحانه وما اقتضاه منّه و احسانه فاخذ يشرح مامن الله عليه من حسنة ونعمة ويعترف بعجز شكرها الى ان قال وما من حديث رويته عن استاذى المسند العالى مجد الدين بروايته له عن مشائخه الا وحفظه واسناده واعرف لراويه نسبته وثقته واوائل حاله الى وفاته وما من آية الا ومنّ الله علىّ بحفظها وفهم تاويلها واسباب نزولها وعلم قرائتها واما الفقه فاستحضر منه ما ارجو به مفهوم من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ولى مدة اشهر اصرف وقتى باستعمال ما عليه الصوفية واشتغل بما سنه السادة لتزكية

الأنفاس عسلاه بما قيل من تشبه بقوم فهو منهم وها انا اطمع فى شمول بركاتهم متعللا بعسى ولعل، وكنت شرعت بقراءة معالم التنزيل وقد قاربت اتمامه الا انى ارجوان اختمه فى الجنة ان شاء الله تعالى، فلا تنسونى من صالح دعائكم فانى احس اعضائى نفدت قواها، فدعا له الحاضرون بالبركة فى العمر؛

قال وفى سنة ٩٣٢ على خروجه من جانپانير ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الابد لها ولاهلها واكثر من اعمال البر فيها وفى طريقه الى احمد آباد ولما نزل بها كان يكثر من التردد الى قبور الصالحين ويكثر من الخير بها وكان له حسن ظن بالعلامة خرمخان فقال له يومًا نظرت فى ما اوثق به اولى الاستحقاق من الانفاق فاذا اناسين افراط فى صرف بيت المال وتفريط فى منع اهله فلم ادر اذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب ؟

وفى آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام الى
القصر واضطجع الى ان زالت الشمس فاستدعى
بالماء وتوضأ وصلى ركعتى الوضوء وقام من
مصلاه الى بيت الحرم واجتمعت النسوة عليه
آنسات باكيات يندبن انفسهن حزنا على فراق
لا اجتماع بعده فامرهن بالصبر الموذن بالأجر
وفرق عليهن مالا شرودعهن واستودعهن
الله سبحانه وخرج وجلس ساعة ثم استدنى
منه راجيه محمد حسين المخاطب بنجم الملك
وقال له قد رنم الله قدرك بالعلم اريد
ان تحضر وفاتى وتقرأ على سورة يسين و
تغسلنى بيدك وتسامحنى فيه فاملق بماهو
اهله وقناه ودعا له وسمع اذانا فقال اهو
فى الوقت فاجاب اسد الملك هذا اذان
الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة ويكون
فى العادة قبل الوقت فقال اما صلاة الظهر
فاصليها عندكم واما صلوة العصر فعند ربى

فى الجنة ان شاء الله تعالى ثم اذن للحاضرين

فى صلوة الجمعة وطلب مصلاه وصلى وود[illegible]

الله سبحانه بوجه مقبل عليه وقلب منيب

اليه دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر

ثم كان آخر دعائه رب قد آتيتني من الملك

وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات

والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني

مسلما والحقني بالصالحين وقام من [illegible]

وهو يقول استودعت الله [illegible]

وهو مجتمع الحواس [illegible]

لا اله الا الله محمد [illegible]

نفسه والخطيب [illegible] يدعو له

وكان ذلك فى ثانى جمادى الاولى [illegible]

وحمل تابوته الى [illegible] ودفن عند [illegible]

طيب الله ثراه ويحسن الاستشهاد هنا بما رثى

به العماد الكاتب سلطانه الملك العادل

نور الدين الشهيد رحمه الله :

يا ملكا أيامه لم تزل … بفضله فاضلة فاخرة
ملكت دنياك وخلفتها … وسرت حتى تملك الآخرة

(نزهة الخواطر للسيد عبد الحي الحسني)

رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسية ربعي بن عامر رسولا إلى رستم قائد جيوش الفارسية وأميرهم فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابي الحرير وأظهر اليواقيت واللآلي الثمينة، والزينة العظيمة وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سرير من ذهب؛

ودخل ربعي بثياب صفيقة وسيف وترس وفرس قصيرة ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد وأقبل وعليه سلاحه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له ضع سلاحك،

فقال اني لم آتكم ، وانما جئتكم حين دعوتموني فان تركتموني هكذا والا رجعت فقال رستم ائذن نوا له ، فاقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها ؛

فقالوا له ما جاء بكم؟ فقال الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ومن ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الاديان الى عدل الاسلام فارسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ، ومن ابى قاتلناه ابداً حتى نفضي الى موعود الله ؛

قالوا وما موعود الله ؟

قال الجنة لمن مات على قتال من ابى والظفر لمن بقى ؛

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم ان تؤخروا هذا الامر حتى ننظر فيه وتنظروا ؟

قال : نعم كم احب اليكم ؟ يوماً او يومين ؟

قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا وساء قومنا!
فقال ما سنّ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نوخّر الاعداء عند اللقاء من ثلاث فانظر
في أمرك وأمرهم، واختر واحدة من ثلاث
بعد الأجل؛
فقال أسيّدهم أنت؟
قال لا ولكن المسلمون كالجسد الواحد
يجير ادناهم على اعلاهم؛

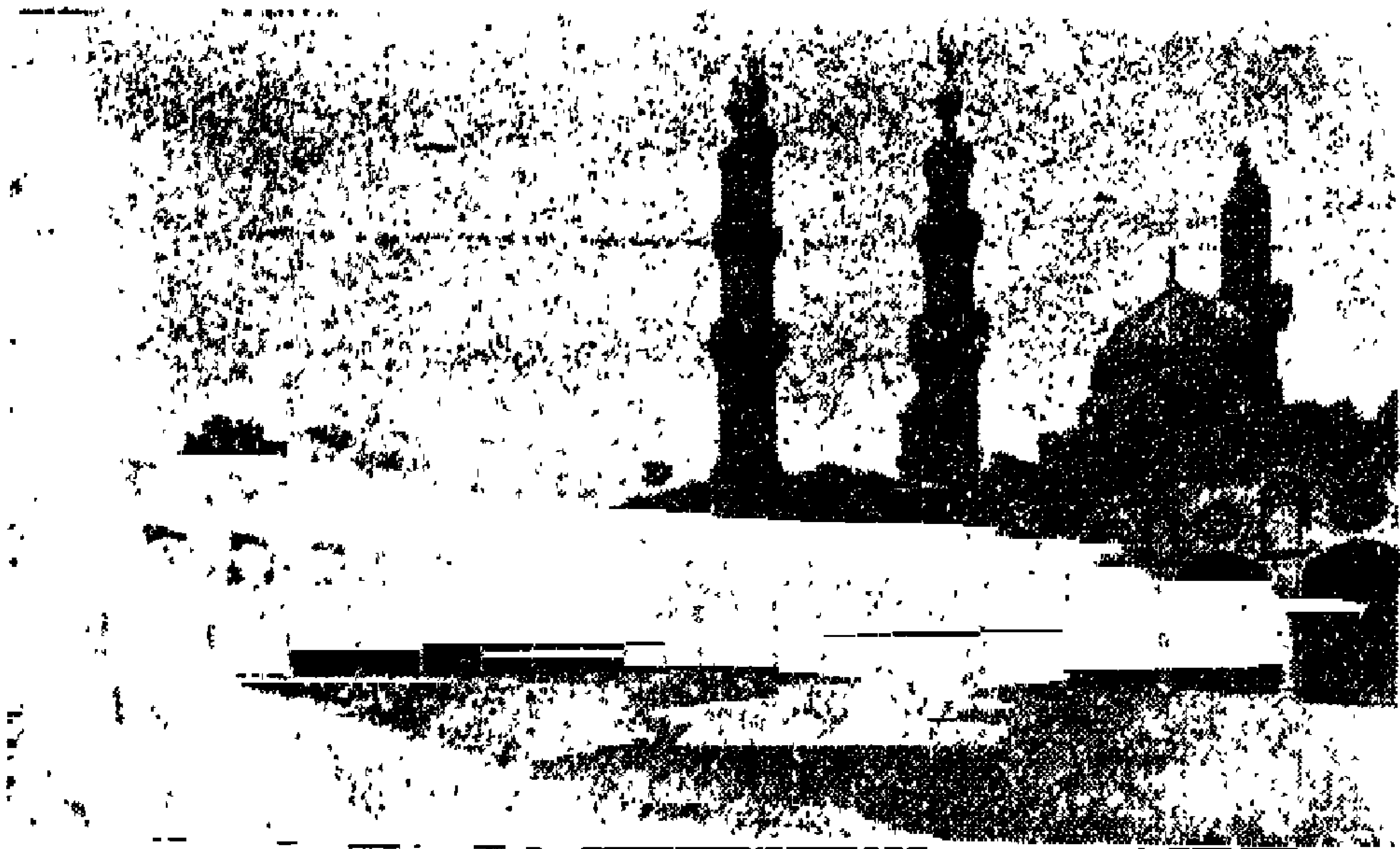
فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال هل
رأيتم قط اعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟
فقالوا معاذ الله ان تميل إلى شئ من هذا
وتدع دينك الى هذا الكلب اما ترى الى ثيابه؟
فقال ويلكم لا تنظروا الى الثياب وانظروا
الى الرأى والكلام والسيرة، ان العرب يستخفون
بالثياب والمأكل ويصونون الاحساب[1]؛

---

(١) البداية والنهاية ج ٧ ص ٤٠

٨٢

الجامع الأزهر



الجامع الأزهر هو ذلك المسجد الكبير القائم في مدينة القاهرة لأكثر من تسعة قرون و نصف، وفيه تلك الجامعة الدينية الكبرى وهو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله

الله الفاطمى لما اختط القاهرة ، اذ شرع فى بنائه لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية وتم بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية ؛

وكان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية ودور التعليم بدأت صغيرة لكنها ما لبثت ان اتسع نطاقها وعظم شأنها بما افاض عليها الملوك والامراء حتى اصبحت منبعا للتعليم الدينى ، وطبق صيتها الخافقين فانحدر اليها الطلبة من اقصى المسكونة و تخرج منها العلماء والائمة فى كل نوع من نوع العلم الدينى وغيره ؛

وقد زاد الملوك والامراء فى بنائه و وسعوا فى نواحيه وشادوا مساكن للطلاب (اروقة) واسكنوا فيها من لم يكن له مسكن ياوى اليه ولا سيما الغرباء واودعوا فيها كتب التدريس والمراجعة ؛

كان الازهر يسير على نظام سهل يكاد يكون.

فطريا أساسه التقوى وقوامه احترام الدين وأهله فلم يكن به من مظاهر نظامات هذه الأيام وتنبيهاتها شئ ؛

كان الطالب يدخله مختارا بلا قيد ولا شرط ويختلف الى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ويبقى فيه ما شاء ان يبقى ، فاذا آنس من نفسه علما كافيا وملكة يتمكن بها من افادة غيره جلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا وعرض نفسه على الطلبة فكانوا اذا وجدوه على علم التفوا حوله وقبلوا يده واذا رأوا غير ذلك انصرفوا عنه و تلك هى شهادة العالمية التى كان يعطاها العلماء ؛

وفى سنة ١٢٨٨ هجرية وضع اول قانون للازهر وصدرت بعد ذلك عدة قوانين ؛

وفى ٣ المحرم سنة ١٣٥٥ صدر مرسوم باعادة تنظيم الجامع الازهر والمعاهد الدينية

العلمية الاسلامية ونفذ كقانون من قوانين الدولة ؛

وقد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الازهر من سنة ١٣٥٢ لسد حاجة من يريد التوسع فى أحكام الدين واللغة العربية وقد خص الازهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالى والتخصص ؛

وانشئ قسم من الازهر للتخصص فى علوم الدين واللغة العربية والتاريخ الاسلامى والتربية والوعظ والارشاد ؛

وكليات الجامع الازهر هى (١) كلية الشريعة (٢) كلية اللغة العربية (٣) كلية اصول الدين.

وشيخ الجامع الازهر هو الامام الاكبر لجميع رجال الدين والمشرف الاعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين فى القطر المصرى كله ؛

وللجامع الازهر مجلس يسمى المجلس الاعلى

للازهر يشرف على شئونه وادارته ويرأس هذا المجلس شيخ الجامع الازهر؛

بلغت ميزانية الجامع الازهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية لسنة ١٩٣٦-١٩٣٧ المالية ٧٧٦ و ٣٢٣ جنيها مصريا؛

ويبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة المدرسين والموظفين ٧٧٦ وعدد الوظائف المؤقتة ٢٣١؛

وبلغ عدد طلبة الازهر سنة ١٩٣٦-١٩٣٧ الدراسية ١١١٣٠ طالب؛

ومعظم طلبة الازهر من المصريين والسوريين والاتراك والمغاربة وبعضهم يأتى من الافغانستان والصين وبغداد وبورنو والهند وجاوه والعجم وسنار والصومال وجنوب افريقيا وغيرها؛

وكان فى الازهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة فى اروقته وفى جهات متعددة منه فلما توجهت العناية الى اصلاح الازهر وتحسين

حالة انشئت فى سنة ١٨٩٧م دار كتب عامة تسمى "دار الكتب الازهرية الكبرى" تجمع ما تفرق فى اروقة الازهر من الكتب، ورتب لها ما يلزم من المال والعمال وما زالت هذه الدار تتدرج فى الرقى حتى اصبحت تحتوى على ٧٢٦٢٧ مجلداً بين مخطوط، ومطبوع وفيها من أمهات الكتب ونادرها ما لا يوجد فى دار كتب أخرى؛

« تقويم مصر بتلخيص »

أدب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدِي اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ○ يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ○ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ○ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ
مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ○
وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا
لَهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ○ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا
قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ○ وَاعْلَمُوا
أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ
لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ
فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ
وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ○ فَضْلًا
مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ○ وَإِنْ
طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا
فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي
تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا
بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ○
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

وَاتَّقُوا اللّٰهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ
اٰمَنُوْا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُوْنُوْا
خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّنْ نِّسَآءٍ عَسٰٓى اَنْ يَّكُنَّ
خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوْٓا اَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوْا
بِالْاَلْقَابِ ط بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوْقُ بَعْدَ الْاِيْمَانِ
وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَاُولٰٓئِكَ هُمُ الظّٰلِمُوْنَ ۝
يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوا اجْتَنِبُوْا كَثِيْرًا مِّنَ الظَّنِّ
اِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ اِثْمٌ وَّلَا تَجَسَّسُوْا وَلَا يَغْتَبْ
بَّعْضُكُمْ بَعْضًا اَيُحِبُّ اَحَدُكُمْ اَنْ يَّاْكُلَ لَحْمَ اَخِيْهِ
مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوْهُ وَاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ تَوَّابٌ
رَّحِيْمٌ ۝ يٰٓاَيُّهَا النَّاسُ اِنَّا خَلَقْنٰكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ
وَّاُنْثٰى وَجَعَلْنٰكُمْ شُعُوْبًا وَّقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوْا اِنَّ
اَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ اَتْقٰكُمْ اِنَّ اللّٰهَ عَلِيْمٌ خَبِيْرٌ ۝
قَالَتِ الْاَعْرَابُ اٰمَنَّا قُلْ لَّمْ تُؤْمِنُوْا وَلٰكِنْ قُوْلُوْٓا
اَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ وَاِنْ
تُطِيْعُوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ اَعْمَالِكُمْ شَيْئًا
اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ ۝ اِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِيْنَ

آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا
قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝
إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝ (سورة الحجرات)

شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية

ولد احمد بن عبد الحليم ابن تيمية بحران يوم الاثنين فى ١٠ وقيل ١١ ربيع الاول سنة ٦٦١ وقدم مع والده واهله الى دمشق وهو صغير كانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتر فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة لعدم الدواب وكاد العدو يلحقهم

ووقعت العجلة فابتهلوا الى الله تعالى واستغاثوا
به فنجوا وقدموا دمشق فى اثناء سنة ٦٦٧ و
سمع هنالك من اكثر من مائتى شيخ ولازم
السماع مدة سنين واشتغل بالعلوم و حفظ
القرآن واقبل على الفقه وبرع فى النحو و
اقبل على التفسير اقبالا كليا حتى حاز فيه
قصب السبق، كل ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة
ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا بوالديه
تقيا ورعا ناسكا صواما قواما ذاكرا لله تعالى
فى كل أمر وعلى كل حال، رجاعا الى الله تعالى
فى سائر الأحوال والقضايا وقافا عند حدود
الله تعالى واوامره ونواهيه آمرا بالمعروف
ناهيا عن المنكر لا تكاد نفسه تشبع من العلم
ولا تروى من المطالعة ولا تمل من الاشتغال
ولا تكل من البحث، وكان يحضر المجالس
والمحافل فى صغره فيتكلم ويناظر ويفحم الكبار
ويأتى بما يتحير منه اعيان البلد فى العلم،

وافتى وله نحو ١٧ سنة ، وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت ومات والده فكان من كبار الحنابلة وائمتهم ودرس بعده بوظائفه وله ٢١ سنة فاشتهر امره وبعد صيته فى العالم واخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجُمَع على كرسى من حفظه فكان يورد ما يقوله من دون توقف ولا تلعثم، وحيم سنة ٦٩١ ورجع وقد انتهت اليه الامامة فى العلم والعمل، ولم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة ولم ينتقل طول عمره من محنة الا الى محنة، حبس مرارا فى مسائل فقهية وكلامية وحبس مرة ببرج وكان موضعه فسيحا فصار الناس يدخلون اليه ويقرأون عليه ويبحثون معه ، ونقل الى الجب ، ونُفى من بلاد ونقل من بلاد الى بلاد؛

وقاموا عليه فى شهر رمضان سنة ٧١٩ واكد عليه المنع من الفتيا ثم عقد له مجلس آخر فى رجب سنة ٧٢٠ ثم حبس بالقلعة، ثم أخرج

فى عاشوراء سنة ٧٢١ ، ثم قاموا عليه مرة اخرى فى شعبان ٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة واعتقل بالقلعة فلم يزل بها الى ان مات فى ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ وصلى عليه بجامع دمشق وصار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل واقل ما قيل فى عددهم انهم خمسون الفا ؛

قال الذهبى كان يقضى منه العجب اذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف واستدل ورجح وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ، وما رأيت اسرع انتزاعا للآيات الدالة على المسألة التى يوردها منه ، ولا اشد استحضاراً للمتون وعزوها منه كأن السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة وكان آية من آيات الله فى التفسير والتوسع فيه واما اصول الديانة ومعرفة اقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه ، هذا مع ما كان عليه

من الكرم والشجاعة والفراغ عن ملاذ النفس ولعل نفاوته في الشئون تبلغ ثلث مائة عجلة بل أكثر، وكان قوالا بالحق لا تأخذه في الله لومة لائم؛

كان ابيض اسود الرأس واللحية قليل الشيب شعره الى شحمة أذنيه، وكأن عينيه لسانان ناطقان ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين جهوري الصوت فصيحا سريع القراءة تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم، لم أر مثله في ابتهاله واستغاثته وكثرة توجهه وانا لا اعتقد فيه عصمة وكان بشرا من البشر تعتريه حدة في البحث وغضب وكل احد يوخذ من قوله ويترك؛

وكان محافظا على الصلاة والصوم معظما للشرائع ظاهرا وباطنا لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ولا من قلة علم فانه بحر زخار ولا كان متلاعبا بالدين ولا ينفرد

بمسائله بالتشهي ولا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس ويبرهن ويناظر؛

قال الاقشهري في رحلته: ابن تيمية بارع في الفقه والاصلين والفرائض والحساب وفنون أخر وما من فن الا له فيه يد طولى وقلمه ولسانه متقاربان؛

وقال شمس الدين ابن الحريري قاضي الحنفية بدمشق انه منذ ثلاث مائة سنة ما رأى الناس مثله؛

وكان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه والحديث فيورد في ساعة من الكتاب والسنة واللغة والنظر ما لا يقدر أحد على أن يورده في عدة مجالس كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء ويذر؛

وكان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش

فی ذهنه وینقله فی مصنفاته بلفظه ومعناه وکان من اذکیاء العالم وله فی ذلک امور عظیمة منها ان محمد بن ابی بکر السکاکینی عمل ابیاتا علی لسان ذمی فی انکار القدر فوقف علیها ابن تیمیة فثنی احدی رجلیه علی الاخری واجاب فی مجلسه قبل ان یقوم بمائة وتسعة عشر بیتا ؛

وکان دائم الابتهال کثیر الاستغاثة قوی التوکل رابط الجأش له اوراد واذکار یدیمها قلبیة وجمعیة ؛

کیف تعلمتُ الاسلام فی الاندلس النصرانیّة

" اطلعنی الله علی دین الاسلام بواسطة والدی رحمة الله علیه وانا ابن ستة اعوام واقل مع انی کنت اذ ذاک اروح الی مکتب النصاری لاقرأ دینهم ثم ارجع الی بیتی فیعلمنی

والدى دين الاسلام فكنت اتعلم فيهما معاً ،
وسنّى حين حُملت الى مكتبهم اربعة اعوام
فاتخذ والدى لوحاً من عود الجوز كان انظر
الآن اليه مملسا من غير طفل ولا غيره فكتب
لى فيه حروف الهجاء وهو يسألنى حرفاً حرفاً
عن حروف النصارى تدريباً وتقريباً فاذا
سميت له حرفاً اعجميا كتب لى حرفاً عربياً
فيقول لى هكذا حروفنا حتى استوفى لى جميع
حروف الهجاء فى كرتين، فلما فرغ عن الكرة
الاولى اوصانى ان اكتم ذلك حتى عن والدتى
وعمى وأخى وجميع قرابتنا وأمرنى ان لا أخبر
احداً من الخلق ثم شدد على الوصية ، و
صار يرسل والدتى الىّ فتسئلنى ما الذى
يعلمك فاقول لها : لا شئ ، فتقول : أخبرنى بذلك
ولا تخف لانى عندى الخبر بما يعلمك ; فاقول
لها : أبداً ما هو يعلمنى شيئا ، وكذلك كان
يفعل عمى وانا انكر اشد الانكار ، ثم اخرج

الى مكتب النصارى والى الذى فعلمنى والدى الى

ان مضت مدة فارسل الى من اخوانه فى الله الاصدقاء

فلم اقر لاحد قط بشئ مع انه رحمه الله تعالى قد

القى نفسه للهلاك لا مكان ان اخبر بذلك عنه

فيحرق لا محالة، لكن أيدنا الله سبحانه وتعالى

بتائيده واعاننا على ذكره وشكره وحسن عبادته

بين اظهر اعداء الدين؛

وقد كان والدى رحمه الله تعالى يعلمنى

حينئذ ماكنت اقوله عند رويتى للأصنام

وذلك انه قال لى: اذا اتيت الى كنائسهم و

رأيت الاصنام فاقرأ فى نفسك سرًّا قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا

وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا

لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ۝

وقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ»،

الى آخرها وغير ذلك من الآيات الكريمة وقوله تعالى:

وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝»

فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى انى اكتم امور دين الاسلام عن الاقارب فضلا عن الاجانب أمرني أن أتكلم بانشائه لوالدتي وعمى وبعض أصحابه الأصدقاء فقط، وكانوا يأتون الى بيتنا فيتحدثون في أمر الدين وأنا أسمع فلما رأى حزمي مع صغر سني فرح غاية الفرح وعرفني بأصدقائه وأحبائه واخوانه في دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً؛

وسافرت الاسفار لأجتمع بالمسلمين الاخيار من جيان مدينة ابن مالك الى غرناطة وإلى

قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الجزيرة الخضراء اعادها الله تعالى للاسلام فتلخص لى من معرفتهم انى ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثوننى بامور غرناطة وما كان بها فى الاسلام حينئذ وبما اقوله يعنى وقلته قبل نسندى عال لكونه ما تم الا بواسطة واحدة بينى وبين الاسلام بها،

فباجتماعى بهم حصل لى خير كثير ولله المنة وقد قرأ اكلهم رحمهم الله على شيخ من مشائخ غرناطة اعادها الله للاسلام يقال له الفقيه اللوطورى رحمه الله تعالى ونفعنا به فانه كان رجلا صالحاً وليا لله فاضلاً زاهداً ورعاً عارفاً سالكاً ذا مناقب ظاهرة مشهورة و كرامات ظاهرة ماثورة قد قرأ القرآن الكريم فى مكتب الاسلام بغرناطة قبل استيلاء العدو عليها وهو ابن ثمانية أعوام وقرأ الفقه وغيره على مشائخ اجلاء حسب الامكان لأن الوقت

ضاق في الشرق والاعلان لشدة القتال والحصر
الذى كان عليهم مع صغر سنه ، ثم بعد مدة
يسيرة أُنتزعت غرناطة من أيدى المسلمين
أحد أدنا وقد أذن العدو في ركوب البحر
والخروج منها لمن أراده وبيع ما عنده و
اتيانه لهذه الديار الاسلامية أبقاها الله
تعالى عامرة بالاسلام الى يوم الدين وذلك
في مدة ثلاثة اعوام ، ومن أراد أن يقيم على
دينه وماله فليفعل بعد شروط اشترطوها و
التزامات كتبها عدو الدين على اهل الاسلام
فلما تحركوا لذلك احد ادنا وعزموا على
ترك ديارهم وأموالهم ومفارقة أوطانهم
للخروج من بينهم وجاز الى هذه الديار
التونسية والحضرة الخضراء بعثة من جاء
اليها حينئذ ودخلوا في زقاق الاندلس
المعروف بهذا الاسم وذلك سنة اثنتين
وتسع مائة وكذلك للجزائر وتطاون وفاس

ومراكش وغيرها وبرأى العدو العزم فيهم لذلك نقض العهد نرة هو ربما أخرجهم من سواحل البحر الى ديارهم ومنعهم قهراً عن الخروج واللحوق باخوانهم وقرابتهم لديار الاسلام وقد كان العدو يظهر شيئاً ويفعل بهم آخر مع ان المسلمين احدا دنا استنجدوا مراراً ملوك الاسلام كملك فاس ومصر حينئذ فلم يقع من أحدهما الا بعض مراسلات ليقضى الله أمراً كان مفعولا ؛

ثم بقى العدو يحتال بالكفر عليهم غصباً فابتدأ يزيل لهم اللباس الاسلامى والجماعات والحمامات والمعاملات الاسلامية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم والقيام عليه مراراً وقتالهم اياه الى ان قضى الله سبحانه ما قد سبق فى علمه فبقينا بين اظهرهم وعدو الدين يحرق بالنار من لاحت عليه امارة الاسلام ويعذبه بأنواع العذاب فكم أحرقوا وكم

علا بوا وكم نفوا من بلادهم وضيّعوا من مسلم فانا لله وانا اليه راجعون ؛

د سيدى محمد بن عبد الرحيم الاندلسى (م ١٠٥٢هـ)

وصف قلم

اهدى الى سيدى (١) ... قلما رشيقا من دكن
يا حبذا تلك العلى ... من ماجد حبر الزمن
هو خير ما يهدى الى ... باغى العلوم والفنن
يسقى العباد بريقه ... وبمائه يحيى السنن
كم خامل نالوا به ... ذكرا رفيعا فى الوطن
كم معدم حازوا به ... مالا عظيما فى المحن
تُفرى الامور بحدّه ... ولحدّه يعنو الزمن
سيف صقيل فى الوغى ... موت ذريع بالرّسن
يرمى البغاة بسهمه ... وبطرفه تخبو الفتن
كم عاجز يتوى به ... بعد التذلل والوهن

---

(١) يعنى الشاعر به الاستاذ الكبير السيد سليمان الندوى وقد اهدى الى الناظم قلما مطبوعا عليه اسمه فى رجوعه من حيدر آباد دكن ؛

كم صباغر يلتقى به — غرّاً عزيزاً والسنن
يُرقى اللديغ بنفثه — فيهب يمشى من وسن
يُروى الظماء زلاله — فكأن غنما مَا تُن هتن
يشفى العليل بطبّه — وببصره يشبى الفطن
كم مفصح ولقى به — خطبات سحبان اللسن
يسقى الجديب بنبعه — فاذا به روض اغن
فلثمته متبرّكاً — وحسبته احدى المنن

(محسن ناظم الندوى)

عالمگير بن شاه جهان سلطان الهند

(١)

الامام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان ابو المظفر محى الدين محمد اورنگ زيب عالمگير بن شاه جهان الغازى المؤيد من الله القاهر بنصرة الدين الذى ايد الاسلام و فتح الفتوحات العظيمة وساس الامور واحسن الى الرعايا وصرف اوقاته فى القيام بمصالح الناس

وبما يرضى به رب العالمين من صيام و قيام
و رياضة لا يتيسر بعضها لآحاد الناس.
فضلا عن الملوك و السلاطين و ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء؛
ولد ليلة الاحد لخمس عشرة خلون من
ذي القعدة سنة ثمان وعشرين والف بقرية
دوحد على مائة اميال من احمدآباد و سبعين ميلا
من بروده من بطن ارجمند بانو بنت آصف خان
ابي الحسن بن غياث الدين الطهراني في أيام
جده جهانگير بن اكبر شاه ونشأ في مهد السلطنة
وتنبّل في أيام جده وأبيه وقرأ العلم على
مولانا عبد اللطيف السلطان پوري و مولانا
محمد هاشم الگيلاني والشيخ محي الدين بن
عبد الله البهاري وعلى غيرهم من الاساتذة
واخذ خط النسخ عن الحاج القاسم والنستعليق
عن السيد على بن محمد مقتدى الماهرين في الخط
حتى كتب خط المنسوب وصار مضرب المثل

فى جودة الخط وبرّز فى كثير من العلوم والفنون وبايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ احمد السرهندى واخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن محمد معصوم المذكور و كان يلازمه بامر والده لذلك حتى حصلت له نفحة منه وبشره باشياء واشتهر ذكره فى حياة والده وعظم قدره فولاه والده الاعمال العظيمة فى ارض دكن فباشرها احسن مباشرة ثم حصل لوالده مرض صعب عطّله عن الحركة وكان ولى عهده من بعده اكبر اولاده دارا شكوه فبسط يده على البلاد وصار هو المرجع والسلطان معنىً فلم ترض نفوس اخوته بذلك فنهض شجاع من بنگاله ومراد بخش من گجرات وعالمگير من ارض دكن كل منهم يريد ان يقبض على أخيه دارا شكوه ويتولى المملكة فاتفق عالمگير ومراد بخش على ذلك فقاتلاه وغلبا عليه ثم احتال

عالمگیر على مراد بخش وقبض عليه واعتقل اخويه ثم قتلهما لامور صدرت منهما وافتى العلماء انهما استوجبا القتل وحبس والده فى قلعة اكبرآباد وهيأ له ما يشتهيه من ملبوس ومأكول واهل الخدمة من الجوارى والغلمان وكانت جهان آرا بيگم بنت شاه جهان تمتثم مع والدها فى القلعة والسيد محمد الحسينى القنوجى يلازمه يشتغل عليه ويذاكره فى ماينفعه فى عقباه *

وجلس عالمگیر على سرير الملك سنة ثمان وستين والف فافتتح امره بالعدل والاحسان ودفع المظالم والمكوس واسر غالب ملوك الهند المشهورين وصارت بلادهم تحت طاعته وجبيت له الاموال واطاعته البلاد والعباد ولم يزل فى اجتهاد من الجهاد ولم يرجع الى مقر ملكه وسلطنته بعد ان خرج منه وكلما فتح بلداً شرع فى فتح أخرى حتى

لحقت حدود ملكه فى الجهة الشمالية الى حدود
خيوه وبخارا وفى الجهة الجنوبية الى البحر المحيط
وفى الجهة الغربية الى سومنات على شاطئ
بحر الهند وفى الجهة الشرقية الى بورى منتهى
أرض اريسه ؛

وكان عالمگير عالما دينا تقيا متورعا متصلبا
فى المذهب يتدين بالمذهب الحنفى لا يتجاوز
عنه فى قول ولا فعل وكان يعمل بالعزيمة
وكان يصلى الصلوات المفروضة فى اوائل أوقاتها
بالجماعة فى المسجد مهما امكان ويقيم السنن
والنوافل كلها، ويصلى صلواة الجمعة فى الجامع
الكبير ولو كان غائبا عن البلدة لامر من الامور
يأتيها يوم الخميس ويصلى صلواة الجمعة ثم
يذهب حيث يشاء، وكان يصوم فى رمضان
فى شدة الحر ويحيى الليالى بالتراويح ويعتكف
فى العشرة الاخيرة من رمضان فى المسجد
وكان يصوم يوم الاثنين والخميس والجمعة فى

كل اسبوع من اسابيع السنة ويصوم فى أيام ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يصوم فيها، وكان يخرج الزكوة من امواله قبل ان يجلس على سرير الملك وبعده ممتا خص لنفسه من علاة قرى وبعض معادن الملح للمصارف الخاصة من نفسه وقطمير وكان يريد ان يرحل الى الحرمين الشريفين للحج والزيارة فى أيام والده فلم يرض بفراقه وبعد ذلك لم تمهله المصالح الملكية، ولكنه كان يرسل الناس الى الحرمين الشريفين للحج والزيارة ويبذل عليهم العطايا الجزيلة ويبعث اليهما اموالا طائلة لاهل الحوائج فى أيام الحج بعد سنة او سنتين ويوظف الله اكوين والله اكوت ويجعل لهم الارزاق السنية، ويداوم على الطهارة بالوضوء ويحافظ على الاذكار والادعية المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى غالب أوقاته ويحيى الليالى المتبركة بالصلاة

والصدقة وصحبة العلماء والمشائخ فى المسجد، و
كان يحترز عن كل سوء ومكروه منذ نعومة
اظفاره لم يشرب الخمر قط ولم يقارب امرأة
لا تحل له وكان لا يستمع للغناء بالمزامير منذ
جلس على سرير الملك مع انه كان ماهراً فى
الايقاع والنغم وما كان ان يلبس الملبوسات
غير المشروعة وما كان أن ياكل فى الظروف
الذهبية والفضية وأمر ان يصاغ الجواهر
الثمينة فى الحجر اليشب مقام الذهب و
نهى الامراء ان يلبسوا غير المشروع وكان
يمنعهم ان يتذاكروا بين يديه بكذب وغيبة
وقول الزور وأمرهم ان يعبروا عن الامور
المستكرهة ان وقع لهم حاجة الى ذلك وكان
موزعا لاوقاته فوقت للعبادة ووقت للمذاكرة
ووقت لمصالح العسكر ووقت للشكاة ووقت لقراءة
الكتب والاخبار الواردة عليه كل يوم وليلة من
مملكته لا يخلط شيئا بشئ ؛

عالمگیر بن شاه جهان سلطان الهند

(٢)

ومن مآثره الجميلة انه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سرير الملك فأرخ بعض العلماء لبدء حفظه من قوله سنقرئك فلا تنسى ولتمامه من قوله لوح محفوظ ؛

وكانت له معرفة بالحديث له كتاب الاربعين جمع فيه اربعين حديثا بعد الولاية وترجمها بالفارسية وعلق عليها فوائد نفيسة وكانت له مهارة تامة فى الفقه يضرب به المثل فى استحضار المسائل الجزئية ؛

وكان بارعا فى الخط كتب مصحفا بيده قبل جلوسه على السرير وبعثه الى مكة المباركة وبعد جلوسه مصحفاً آخر وبعثه الى المدينة المنورة، وانتسخ الالفية لابن مالك فى صباه وارسلها الى مكة لينتفع بها الناس من اهل البلدة المباركة،

وكان ماهراً فى الانشاء والترسل لم يكن له نظير فى زمانه فى ذلك وقد جمع المولفون شيئاً كثيراً من رسائله فى كتب كثيرة، وكان مقتدراً على الشعر ولكنه كان قليل العناية به يمنع الناس من ان يضيعوا أوقاتهم فى ذلك؛

وكان ماهراً فى الرمى والطعن والضرب والفروسية وغيرها من الفنون الحربية شجاعا مقداما باسلا، كان والده شاه جهان يوما يتفرج فى البرج المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال وكان عالمگير ايضاً فى الزحام وهو يومئذ فى الرابع عشر من سنه وكان على فرس واذا بفيلة قد ثارت ففر الناس كلهم وثبت عالمگير وتوجهت اليه الفيلة ولفت فرسه بخرطومها وصرع عالمگير من صهوة الفرس ثم قام وسل السيف عليها وجاء الناس ودفعوا الفيلة بالضرب والطعن وايقاد النار؛

وكان سخياً جواداً كريماً يبذل على الفقراء

وأهل الحاجة العطايا الجسيلة ويسا محهور في الغرامات، أبطل ثمانين نوعا من المكوس في سنة تسع وستين والف، ونهى عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء ومصادرة أموالهم في القضاء، وبذل أموالا طائلة على اصلاح الشوارع والطرق في نواحي الهند، وحفر الآبار واجرى العيون وأسس الجسور ورباطات وحمامات ومساجد واصطبلات لأبناء السبيل يستريح الناس بها فظلوا آمنين مطمئنين وبذل الأموال الطائلة في بناء المساجد، وبنى مساجد كثيرة في أرض الهند وعمر القديمة منها وجعل الارزاق للأئمة والمؤذنين والرواتب للمساجد من بسط وسرج وغير ذلك، وأسس دور العجزة في أكثر البلاد زيادة على ما كانت في العصور الماضية والمارستانات في أكثر بلاده، وكان يرسل العطايا الجسيلة الى اهل الحرمين الشريفين زادهما الله شرفا بعد سنة او سنتين، ووظف خلقا كثيرا

من العلماء والمشائخ ليشتغلوا بالعلم والافادة منقطعين فارغى القلوب عن هموم الدنيا، وكان يتصدق بتسع واربعين الفا ومائة الف فى السنة غير ما يتصدق به فى الاعياد والمواسم؛

وكان مقتصدا فى الخيرات غير مسرف فى المال لايعطى الشعراء شيئا ولا لاهل الا يمتاع والنغم خلافا لأسلافه فانهم كانوا يبذرون فى المال تبذيرا كثيرا واذا وظف العلماء أو اقطعهم اشترط بالدرس والافادة لكيلا يتخذ وها ذريعة لاخذ المال فقط؛

وكان مجبولا على العدل والاحسان وفصل القضاء على وفق الشريعة المطهرة، أمر العلماء ان يدونوا المسائل والاقضية من كل باب من ابواب الفقه فدونوها وصنفوا الفتاوى العالمگيرية فى ست مجلدات كبار اشتهرت فى الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية وعم النفع بها وصارت مرجعا للمفتين وانفق

على جمعها مائتي الف من النقود وامر القضاة ان يقضوا بها ؛

وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الاشراق فيعرض عليه ناظر العدلية الأقضية فيحكم بما القى الله سبحانه فى روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه المتظلمين فيستنطق المتخاصمين ويتامل فى الاقضية ويحكم بما اراه الله سبحانه ؛

وهو اول من وضع الوكالة الشرعية فى دور القضاء فوّق رجالا من اهل الدين والامانة فى دور القضاء بكل بلدة وعمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه فى الحقوق الشرعية والديون الواجبة عليه واجاز للناس ان يستغيثوا عليه عند القاضى، وهو اول من نصب المحتسبين فى بلاده وامتاز فى الملوك التيمورية فى ذلك ؛

قال المحبى فى خلاصة الاثر هو ممن يوصف بالملك العادل الزاهد فانه مع سعة سلطانه ياكل فى شهر رمضان رغيفا من خبز الشعير من

كسب يمينه ويصلي بالناس التراويح، وامر من حين ولى السلطنة برفع المكوس والمظالم عن المسلمين، ونصب الجزية بعد ان لم تكن على الكفار وتم له ذلك مع انه لم يتم لاحد من اسلافه اخذ الجزية منهم لكثرتهم وتغلبهم على اقليم الهند واقام فيها دولة العلم وبالغ في تعظيم اهله وعظمت شوكته وتم الفتوحات العظيمة، وهو مع كثرة اعدائه وقوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات وليس له في عصره من الملوك نظير في حسن السيرة والخوف من الله تعالى والقيام بنصرة الدين؛

توفي عالمگير في دكن في شهر ذي القعدة الحرام سنة ١١١٨ واقام في الملك خمسين سنة؛

«نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني»

تجارة رابحة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ ۝ يٰۤاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لِمَ تَقُوْلُوْنَ
مَا لَا تَفْعَلُوْنَ ۝ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللّٰهِ اَنْ تَقُوْلُوْا مَا لَا
تَفْعَلُوْنَ ۝ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الَّذِيْنَ يُقَاتِلُوْنَ فِيْ سَبِيْلِهٖ
صَفًّا كَاَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوْصٌ ۝ وَاِذْ قَالَ مُوْسٰى لِقَوْمِهٖ
يٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُوْنَنِيْ وَقَدْ تَّعْلَمُوْنَ اَنِّيْ رَسُوْلُ
اللّٰهِ اِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوْۤا اَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوْبَهُمْ وَاللّٰهُ
لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ ۝ وَاِذْ قَالَ عِيْسَى ابْنُ
مَرْيَمَ يٰبَنِيْۤ اِسْرَآءِيْلَ اِنِّيْ رَسُوْلُ اللّٰهِ اِلَيْكُمْ
مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرٰىةِ وَمُبَشِّرًاۢ
بِرَسُوْلٍ يَّاْتِيْ مِنْ بَعْدِي اسْمُهٗۤ اَحْمَدُ ؕ فَلَمَّا
جَآءَهُمْ بِالْبَيِّنٰتِ قَالُوْا هٰذَا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۝ وَمَنْ
اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعٰۤى
اِلَى الْاِسْلَامِ ؕ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ۝

يُرِيْدُوْنَ لِيُطْفِـُٔوْا نُوْرَ اللّٰهِ بِاَفْوَاهِهِمْ ؕ وَاللّٰهُ مُتِمُّ
نُوْرِهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْكٰفِرُوْنَ ۝ هُوَ الَّذِيْٓ اَرْسَلَ
رَسُوْلَهٗ بِالْهُدٰى وَدِيْنِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهٗ عَلَى الدِّيْنِ
كُلِّهٖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا هَلْ
اَدُلُّكُمْ عَلٰى تِجَارَةٍ تُنْجِيْكُمْ مِّنْ عَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝
تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَتُجَاهِدُوْنَ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ
بِاَمْوَالِكُمْ وَاَنْفُسِكُمْ ؕ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ
تَعْلَمُوْنَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنّٰتٍ
تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ وَمَسٰكِنَ طَيِّبَةً فِيْ جَنّٰتِ
عَدْنٍ ؕ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ ۝ وَاُخْرٰى تُحِبُّوْنَهَا
نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيْبٌ ؕ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِيْنَ ۝
يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا كُوْنُوْٓا اَنْصَارَ اللّٰهِ كَمَا قَالَ عِيْسَى
ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيّٖنَ مَنْ اَنْصَارِيْٓ اِلَى اللّٰهِ ؕ قَالَ
الْحَوَارِيُّوْنَ نَحْنُ اَنْصَارُ اللّٰهِ فَاٰمَنَتْ طَّآئِفَةٌ مِّنْ
بَنِيْٓ اِسْرَآءِيْلَ وَكَفَرَتْ طَّآئِفَةٌ ۚ فَاَيَّدْنَا الَّذِيْنَ
اٰمَنُوْا عَلٰى عَدُوِّهِمْ فَاَصْبَحُوْا ظٰهِرِيْنَ ۝ (الصف)

الشيخ نظام الدين اللكهنوي

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة الشهير صاحب العلوم والفنون وغيث الافادة انهتون العالم بالربع المسكون، استاذ الاساتذة وامام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحليم الانصاري السهالوي ثم اللكهنوي الذي تفرد بعلومه واخذ لواءها بيده، لم يكن له نظير في زمانه في الاصول والمنطق والكلام؛

ولد بسهالي وتوفي والده مقتولا وهو في الرابع عشر او الخامس عشر من سنه فانتقل الى لكهنؤ مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالمگير بن شاه جهان سلطان الهند قصراً بدلك المقام لابناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنگي محل لانه كان من ابنية تاجر فرنكي فلما اطمأن قلبه خرج من لكهنؤ وذهب الى بلدة جانس وقرأ اكثر الكتب الدرسية على ملا علي قلي الجانسي ثم

ذهب الى بلدة بنارس وتلمذ على الحافظ امان الله بن نور الله البنارسى وقرأ عليه شرح المواقف ثم رجع الى بلدة لكهنؤ وتلمذ على الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله اللكهنوى وقرأ عليه الرسالة القوشجية فى الهيئة ، وقرأ فاتحة الفراغ وله خمس وعشرون سنة ، ثم تصدى للدرس والافادة فتكاثر عليه الطلبة وخضع له العلماء وطارت مصنفاته فى حياته الى الامصار ، والبلاد وتلقى نظام درسه فى مدارس العلماء بالقبول واشتهر بالدرس النظامى) وانتهت اليه رياسة التدريس فى اكثر بلاد الهند .

وكان مع تبحره فى العلم و سعة نظره على اقاويل القدماء عارفاً كبيراً زاهداً مجاهداً شديد التعبد عميم الاحسان حسن التواضع كثير المواساة بالناس ، وكان لا يتقيد بتكبير العمامة وتطويل الاكمام والطيلسان ، اخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق

بن عبد الرحيم البانسوى وبايعه وله اربعون سنة،

قال السيد غلام على البكرامى فى سبحة المرجان انا دخلت لكهنؤ فى التاسع عشر من ذى الحجة الحرام سنة ثمان واربعين ومائة والف واجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين يلمع على جبينه نور التقديس؛

ومن مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على مسلم الثبوت للقاضى محب الله الاطول والطويل وشرح على منار الاصول وشرح على تحرير الاصول لابن الهمام وشرح على المبارزية وحاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازى، وحاشية على الشمس البازغة للجونپورى وحاشية على شرح العضدية للدوانى وحاشية على الحاشية القديمة، وله المناقب الرزاقية كتاب بالفارسى فى اخبار شيخه عبد الرزاق؛

واما تلامذته فانهم كثير وت اجلهم

السيد كمال الدين العظيم آبادى والسيد ظريف العظيم آبادى والعلامة كمال الدين الفتحپورى والشيخ غلام محمد البرهانپورى ومولانا حقانى التانڈوى والشيخ عبد الله الاميٹھوى والشيخ احمد بن غلام نقشبند اللكھنوى ومحمد الله بن شكر الله السنديلوى والشيخ عبد الرشيد الجونپورى المدفون بلكھنو والشيخ وجيه الدين الدهلوى ومولانا غلام محمد عمر الشمس آبادى ومولانا غلام فريد المحمد آبادى ومولانا محمد الدماكى التلمسانى والسيد شاكر الله السنديلوى والشيخ محمد حسن بن غلام مصطفٰے وصنوه محمد ولى والشيخ احمد عبد الحق بن محمد سعيد وولده ملك العلماء عبد العلى محمد وخلق كثير من الناس؛

توفى يوم الاربعاء لثمان خلون من جمادى الاولى سنة ۱۱۹۱ فى حصاة المثانة وقد حبا ونى سبعين سنة؛ (نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)

من الشنق الى النفى

(١)

في اليوم الثاني من شهر مايو سنة ١٨٦٤م جلس ايدورد س القاضي الانكليزي على كرسي في محكمة انباله وجلس بجنبه اربعة من وجهاء البلد ليبدوا رأيهم في القضية، ووقف أمام هؤلاء احد عشر رجلا تنطق وجوههم وملامحهم بشرفهم وبراءتهم، ولكنهم من كبار الجناة والمجرمين فانه يقال أنهم دبّروا مؤامرة ضد الحكومة الانكليزية في الهند، وكانوا يساعدون انصار السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد والمجاهد الجليل الشيخ اسمعيل الشهيد على حدود افغانستان بالمال والرجال يرسلونها سرا من داخل البلاد بحكمة عجيبة، وكانوا وضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية، وكانوا يجمعون اعانات من رعايا الانكليز انفسهم ويرسلونها الى

مركز الثوار، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندي مسلم في جنود الانكليز وأسرتهم في بتنه وتهانيسر ولاهور، وحاكمتهم وهذا اليوم يصدر فيه الحكم عليهم؛

غصّت المحكمة بالزائرين فقد كانت القضية حديث المجالس وحان صدور الحكم فشخصت الابصار واصغت الآذان واضطربت القلوب وخفتت الأصوات، واذا بالقاضي يتكلم في صوت الغضبان ويخاطب شاباً جميلاً قوياً بينهم أنه ربيب نعمة وسليل شرف؛

"انك ياجعفر رجل عاقل متعلم ولك معرفة حسنة بقانون الدولة وانت عمدة بلدك ومن سراته، ولكنك بذلت عقلك وعلمك في المؤامرة والثورة على الحكومة، وكنت واسطة في انتقال المال والرجال من الهند إلى مركز الثوار، ولم تزد الا ان جحدت وعاندت، ولم تثبت أنك كنت مخلصاً وناصحاً للدولة وها أنا ذا

أحكم عليك بالاعدام ومصادرة جميع ما تملك من مال وعقار ، ولا يسلم جسدك بعد الشنق الى ورثتك بل يدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة وسأكون سعيداً مسروراً حين أراك معلقاً مشنوقاً »

استمع الشاب فى سكينة ووقار ولم يتغير ولم يضطرب ، ولما انتهى القاضى من كلامه قال محمد جعفر : إن النفوس والأرواح بيد الله تعالى ، يحيي ويميت وإنك ايها القاضي لا تملك حياة ولا مماتاً ولا تدرى من السابق منا الى منهل الموت ؟

فوالله ما أدرى وإنى لصادق
على أينا تغدو المنية أولُ

ثار الرجل غضبا وجن جنونه ، ولكنه قد أطلق آخر سهم من سهامه لا يملك غيره ؟

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم وتهلل وجهه فرحا ، وكأنما تمثلت له الجنة ،

وتمثلت له الحور والقصور، وتمثل ببيت الشاعر:

هذا الذى كانت الأيام تنتظر
فليوف لله أقوام بما نذروا

تضى الناس العجب مما رأوا ودنا الى محمد جعفر ضابط الكليزى يقال له بارسن، وقال له: لم أر كاليوم قد حكم عليك بالاعدام وأنت مسرور مستبشر! قال محمد جعفر: ومالى لا أفرح ولا استبشر وقد رزقنى الله الشهادة فى سبيله، وانت يا مسكين لا تدرى حلاوتها؛

وحكم القاضى على رجلين آخرين بالاعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سيماء الصالحين و آية العابدين قد تلقى النبأ فى سرور وشكر و هو مولانا يحيى على الصادق فبورى آمير هذه الجماعة، والآخر شاب يظهر أنه من الاغنياء والتجار الكبار وان أصله من بنجاب و هو الحاج محمد شفيع، وحكم على الثمانية الباقية بالنفى المؤبد؛

سمع الناس المجتمعون الحكم في حزن وأسف شديد وفاضت العيون وسالت الدموع واجتمع الناس من رجال ونساء على جانبي الشارع إلى السجن ينظرون الى هولاء البؤساء ويرثون لهم؛

ووصلوا الى السجن ونزعت ثيابهم والبسوا ثياب المجرمين، وسُجن كل واحد من الثلاثة في حجرة ضيقة مظلمة لا يدخل فيها الهواء ولا ينفذ فيها النور وباتوا فيها في حر شديد بشر ليلة بات بها قوم وجاءت بكرة برقية تسمح لهم بالمبيت في الميدان؛

وفي النهار أعيدوا الى حجراتهم الضيقة، وكان لا يمكن لأحد أن يعيش في مثل هذه الحجرة الضيقة مدة اسبوع، ففتح بابها وعُيّن جندي ليحرس هؤلاء، وكان هؤلاء الجنود أكثرهم من الكفار فكان مولانا يحيى علي يغتنم الفرصة ويأتسي بأسوة يوسف الصديق عليه السلام ويخاطب الحارس ويقول " ءأرباب متفرقون

حتى أمر الله الواحد القهار » فيظل الرجل باكيا فاذا نقل من مكانه حزن حزنا شديدا ؛

وهكذا غرس الشيخ فى قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد وبذر فيها بذور الايمان وكم من رجال اسلموا ، وكم من ناس تابوا ، و كان الشيخ لا يضيع فرصة فاذا صادف أحداً أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ؛

وبدأ زبانية السجن يصنعون لهؤلاء حبلا وعودا للشنق على مرأى منهم ومسمع وهؤلاء يرون كل ذلك مطمئنين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛

اما مولانا يحيى على فهو من اشد الناس فرحا كأنه من شوق الجنة فى الجنة ومن انتظار النعيم فى النعيم ، ينشد الابيات فى حنين ووجد ويتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه ؛

ولست أبالى حين اقتل مسلما

على أى شق كان فى الله مصرعى

وذلك في ذات الإله وأن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

وكذلك رفقته، وجوه ضاحكة مستبشرة، ونفوس هادئة مطمئنة، وقلوب راضية مسرورة خشوع في الصلاة، وعبادة في نشاط، وذكر وتسبيح وتلاوة آيات، وحنين ووجد وانشاد أبيات؛

من الشنق الى النفى

(٣)

مات القاضي الانكليزي الذي حكم على هؤلاء الثلاثة بالإعدام فجأة على اثر الحكم وجن الضابط الانكليزي بارسن الذي ألقى القبض على محمد جعفر وضربه يوما من الساعة الثامنة صباحا الى الساعة الثامنة مساء أو مات في جنونه شر ميتة، فكان كما أنذر محمد جعفر ورب أغبر أشعث لو أقسم على الله لأبره؛

وكان يدخل الى السجن كثير من الانكليز

ولا فى مجنيات يتفرجون على هؤلاء السجناء و يشتمون بمصير الأعداء وكانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم و يسألونهم لماذا لا تحزنون يا هؤلاء وانتم على عتبة الموت وعلى موعد من الشنق ؟! فيجيبونهم : هذا لأجمل الشهادة التى ليس فوقها نعمة و سعادة !

ويرجعون الى الحكام الانكليز وعيدة ثوبهم بما رأوا وبما سمعوا فيزدادون غيظاً على غيظ ، ولكن ماذا يصنعون ؟ انهم اذا أطلقوهم فقد أطلقوا أعداءً لقد ثاروا على الدولة و انهم سيرجعون الى ذلك ، واذا شنقوهم وقتلوهم فقد بلغوهم أملهم واجتهدوا فى سرورهم ؛

قد عز على الانكليز كل ذلك و لم تطب أنفسهم به ؛

فكروا فى القضية وفكروا و فكروا ووجدوا

طريقا وسطا بين القتل والاطلاق ، والانكليز أمة قانونية ذكية ؛

في يوم من الأيام جاء حاكم السند ينة الانكليزي الى السجن وتلى على الثلاثة المحكومين عليهم بالاعدام حكم محكمة الاستئناف ؛

« إنكم أيها الثوار تحبون الشنق وتعدونه شهادة في سبيل الله ، ولا نريد ان نبلغكم أملكم وندخل عليكم السرور ، فننسخ حكم الإعدام ونحكم عليكم بالنفي المؤبد إلى جزائر سيلان »

وهنا قصت لحاهم وشعر رؤسهم ، وكان مولانا يحيى على يرفع الشعر ويخاطب لحيته المقصوصة ويقول ؛

وفي سبيل الله ما لقيت

وشنق انكليزي بحبل وعود قد أعد لأولئك المسلمين فانعكست القضية ؛

وامر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة ،

وأمر مولانا يحيى على بانزع الدلاء من بئر، و
كانت كبيرة وثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء
إلا بشق الأنفس والأستاذ شيخ ضعيف، وكان
اليوم صائماً شديد الحر فنزفه الدم في بوله
ولكنه استمر في شغله صابراً محتسباً لا يشكو
ولا يئن، ثم نقل إلى عمل سهل، فكان يقوم
به بأمانة ونصيحة، ويوصى المسجونين الآخرين
بذلك أيضاً ويقول لهم: إذا كنتم تتمتعون
هنا بطعام ولباس فما بالكم لا تؤدون
وظيفتكم بأمانة ونصيحة؟

ولم يزل الشيخ في السجن آمراً بالمعروف
ناهياً عن المنكر داعياً إلى الله واعظاً مرشداً
فتاب كثير من المجرمين وأنابوا إلى الله؟

ونقل الشيخ من انباله الى لاهور وأقام
في سجنه عاماً كاملاً، وكان هنالك الجناة و
اللصوص وقطاع الطريق والفساق فكان يقبح
لهم الجنايات والفسوق والعصيان ويزين لهم

الدين والتقوى والعفاف ، ويحثهم على الطاعة والتوبة والإنابة وإصلاح الحال ويدعوهم إلى التوحيد والمحافظة على الصلوات والصيام ويحذرهم من عذاب الله ونقمته فتاب كثير من اللصوص وقطاع الطريق وحسن حالهم وأخلصوا لله الدين وتابوا وأقاموا الصلاة ؛

وكان من هؤلاء رجل من بلوجستان وكان شديد البطش جبارا ، وقد سطا بخدم السجن مرارا وضربهم بسلاسله وكان لا يقوم بأعماله ووظائفه وقد عوقب عقابا شديدا فلم يتب ولم يكن وقد يئس منه زبانية السجن وقطعوا منه الرجاء وصادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ ، وأثر كلامه فى قلبه فحسن حاله وصار يؤدى وظيفته وفكت سلاسله وأغلاله فصار يحافظ على الصلوات الخمس ويبكى خوفا من الله ومن رآه شهد بأنه ولى من أولياء الله ؛

ولم يزل الشيخ ورفقته ينتقلون من سجن

الى سجن ومن محبس الى محبس حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥م الى بورت بلير من جزائر اندمان ومات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما في عبادة ودين ودعوة الخلق الى الله وكان ذلك لعشرين من فبراير سنة ١٨٦٨م؛

اما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه واطلاقه في الثاني والعشرين من يناير سنة ١٨٨٣ بعد ما لبث في السجن ثمانية عشر عاما؛ (من "نفحات القرن الاول" للمؤلف)

الشيخ عبد العزيز الدهلوى

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدهلوى سيد علمائنا في زمانه وابن سيدهم لقبه بعضهم سراج الهند وبعضهم حجة الله؛

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة ١١٥٩، حفظ القرآن واخذ العلم

عن والده فقرأ عليه بعضها وسمع بعضها آخذ
بالتحقيق والدراية والفحص والعناية حتى حصلت
له ملكة راسخة في العلوم، ولما توفي أبوه إلى
جوار رحمة الله تعالى ورضوانه وله ست عشرة
سنة اخذ عن الشيخ نور الله البرهانوي
والشيخ محمد امين الكشميري واجازه الشيخ
محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي وكانوا من
أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته
على أبيه؛

كان رحمه الله احد افراد الدنيا بفضله و
آدابه وعلمه وذكائه وفهمه وسرعة حفظه
اشتغل بالدرس والافادة وله خمس عشرة
سنة فدرس وافاد حتى صار في الهند العلم
المفرد وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة
من أغلب الأرجاء وتهافتوا عليه تهافت الظمآن
على الماء، هذا وقد اعترته الامراض المولمة
وهو ابن خمس وعشرين فأدت الى المراق والجذام

والبرص والعمى ونحو ذلك حتى عد منها اربعة عشر
مرضا مخيفا ومن ذلك السبب فوض تولية التدريس
فى مدرسته الى صنويه رفيع الدين وعبد القادر
ومع ذلك كان يدرس بنفسه النفيسة ايضاً و
يصنف ويفتى ويعظ ومواعظه كانت مقصورة
على حقائق التنزيل فى كل اسبوع يوم الثلثاء و
كان فى آخر عمره لا يقدر ان يقعد فى مجلس
ساعة فيمشى بين مدرستيه القديمة والجديدة
ويشتغل عليه خلق كثير فى ذلك الوقت فيدرس
ويفتى ويرشد الناس الى طريق الحق وكذا لك يمشى
بين العصر والمغرب ويذهب الى الشارع الذى
بين المدرسة وبين الجامع الكبير فيتهادى بين
الرجلين يميناً وشمالاً ويترقب الناس قدومه
فى الطريق ويستفيدون منه فى مشكلاتهم ومن .
تلك الامراض المولمة فقدان الاشتهاء الى حد
يقضى اياما ولياليا لا يذوق طعم الغذاء حتى
صار الاكل غبا بطريق النوبة كالحمى ؛

وكان مع هذه الأمراض المؤلمة والأسقام المفجعة لطيف الطبع حسن المحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع وبشاشة وتودد لا يمكن الاحاطة بوصفه ومجالسته هي نزهة الاذهان والعقول بما لديه من الاخبار التي تنشف الاسماع والاشعار المهذبة للطباع والحكايات عن الاقطار البعيدة وأهلها وعجائبها بحيث يظن السامع انه قد عرفها بالمشاهدة ولم يكن الامر كذلك فانه لم يعرف غير كلكته ولكنه كان باهر الذكاء قوي التصور كثير البحث عن الحقائق فاستفاد ذلك بوفود أهل الاقطار البعيدة الى حضرة دهلي ولانه قد صنف الناس في الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة؛

وكان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه والأدباء لياخذوا من أدبه ويعرضوا عليه اشعارهم والمحاويج ياتونه ليشفع لهم عند

أرباب الدنيا ويواسيهم بما يمكنه وكرمه كلمة إجماع، والمرضى يلوذون به لمداواتهم وأهل الجذب والسلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره وغرباء الديار من أهل العلم والصلاح ينزلهم ويحسن مثواهم ويفضل عليهم بما يحتاجون إليه ويسعى في قضاء أغراضهم ونيل مطالبهم، وإذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء والنار ويجمع بين الضب والنون فلا يفارقه إلا وهو عنه راض؛

قال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في (اليانع الجني) انه قد بلغ من الكمال والشهرة بحيث ترى الناس في مدن أقطار الهند يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم في سمط من ينتمي إلى أصحابه؛

قال ومن سجاياه الفاضلة الجميلة التي لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته،

لو يناضل أحد الا أصاب غرضه واصمى رميته وأحرز خصله ومن ذلك براعته فى تحسين العبارة وتحبيرها والتأنق فيها وتحريرها حتى غدا قوله مقدما من بين حلبة رهانه وسلموا له قصبات السبق فى ميدانه، ومنها فراسته التى، أقدره الله بها على تاويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئا منها الاجاءت كما أخبر به كأنما قد رآها وهذا لا يكون إلا لأصحاب النفوس الزكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية وأرجاسها، وكم له من خصال محمودة وفضائل مشهودة وجملة القول فيه ان الله تبارك وتعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل وشتاته التى فرقها بين أبناء عصره فى أرضه مالو رآه الشاعر الذى يقول :

ولم أر امثال الرجال تفاوتا

لدى المجد حتى عد الف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار انه وان كان عنده انه قد بالغ فيه فانه قد قصر فكيف الظن

بامثالى أن يحسن عدّ مفاخره التى اكثر من
حصى الحصباء ومن نجوم السماء انتهى ؛

وكان طويل القامة نحيف البدن اسمر
اللون انجل العينين كث اللحية وكان يكتب النسخ
والرقاع بغاية الجودة وكانت له مهارة فى الرمى
والفروسية والموسيقى ؛

وللشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة
عند العلماء محبوبة اليهم يتنافسون فيها و
يحتجون بترجيحاته وهو محقق بلا ريب وفى
عبارته قوة وفصاحة وسلاسة تعشقها الاسماع
وتلتذ بها القلوب ولكلامه وقع فى الاذهان
قل أن يمعن فى مطالعته من له فهم فيبقى على
التقليد بعد ذلك واذا رأى كلاما متهافتا
زيّفه ومزقه بعبارات عذبة حلوة ؛

وأمّا مصنفاته فاشهرها تفسير القرآن المسمّى
بفتح العزيز صنفه فى شدة المرض ولحوق الضعف
املاءً وهو فى مجلدات كبار ولكنها ضاع معظمها

في ثورة الهند وما بقي منها الا مجلدان من أول وآخر، ومنها الفتاوى في المسائل المشكلة ومنها (تحفة اثنا عشرية) في الكلام على مذهب الشيعة كتاب لم يسبق مثله ومنها كتابه بستان المحدثين وهو فهرس كتب الحديث وتراجم اهلها يبسط وتفصيل ولكنه لم يتم ومنها العجالة النافعة رسالة له بالفارسية في اصول الحديث وله غير ذلك من الرسائل؛

وأما مصنفاته في المنطق والحكمة فمنها حاشية على (ميرزاهد رسالة) وحاشية على (ميرزاهد ملا جلال) وحاشية على (ميرزاهد شرح المواقف) وحاشية على (حاشية ملا كوسج) المعروفة بالعزيزية وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازي؛

وله شرح على ارجوزة الاصمعي وله مراسلات الى العلماء والأدباء وتخميس نفيس على قصيدتي والده البائية والهمزية؛

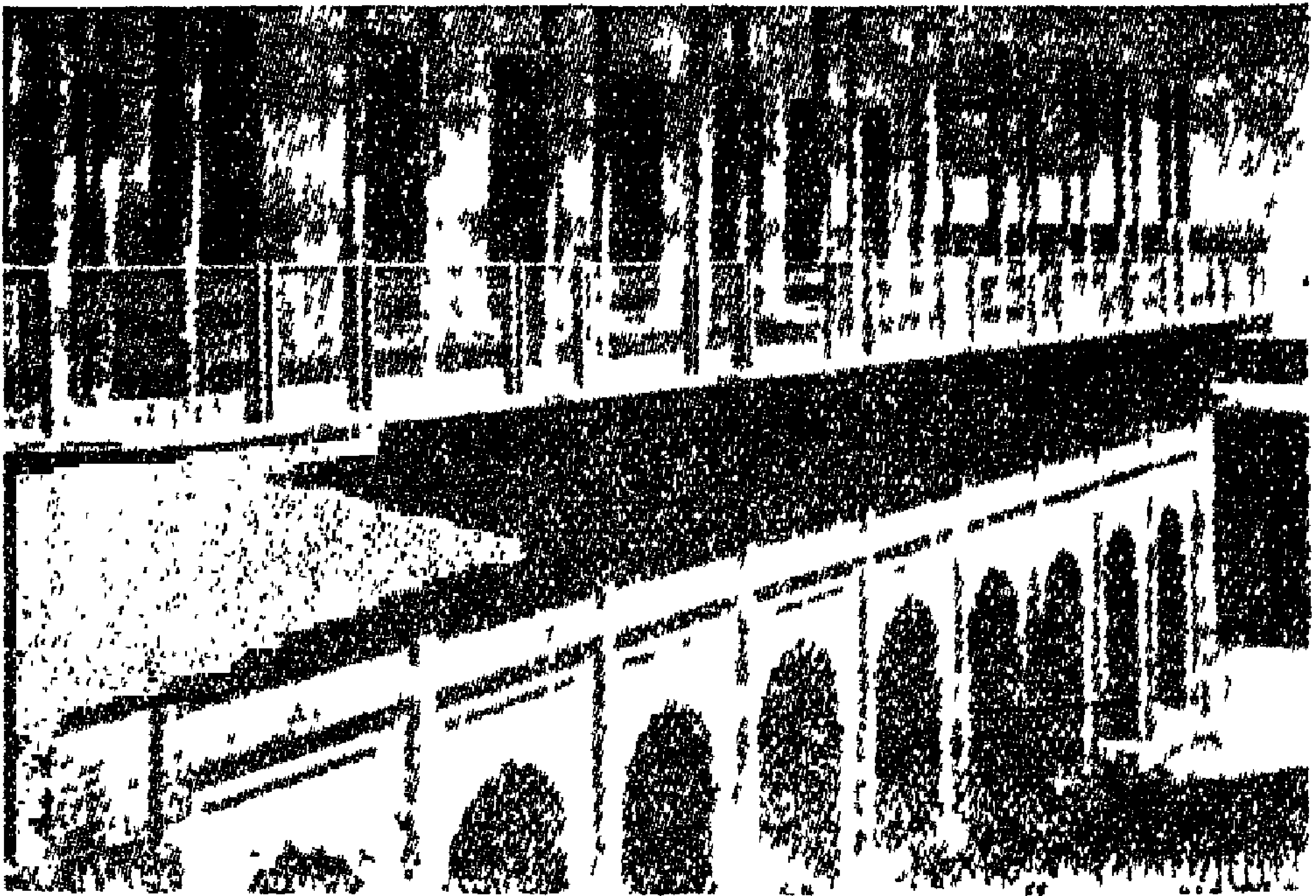
وكان نسيج وحده في النظم والنثر وقوة التحرير وغزارة الإملاء وجزالة التعبير وكان من عفو الساعة وفيض القريحة ومسارعة القلم و مسابقة اليد؛

توفي بعد صلوة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة ١٢٣٩ه وله ثمانون سنة وقبره بدهلي عند قبر والده خارج البلدة؛

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحي الحسني)



دارُ العُلوم ديُوبند ومدرسة مظاهر العلوم



دار الحديث لدار العلوم ديوبند

(١)

انقرضت دولة المسلمين فى الهند ورسخت قدم الانكليز فى أرضها سنة ١٨٥٧م فانبث القسوس والاحبار فى القرى والمدن يدعون الناس إلى

النصرانية ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم ويغرسون فى قلوب العامة الشك والزيغ ، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الانكليزية وآدابها على علاتها و يرون فى ذلك دواءاً لكل داء وتدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية ومحاكاة سادة البلاد فى كثير من أخلاقهم وأساليب حياتهم فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد و خطر الالحاد ؛

وكانت المدارس الدينية وحلقات التدريس التى تخرج منها أئمة وعلماء كبار فى احتضار تلفظ نفسها الأخير لعدم حماية الدولة وقلة رغبة الناس فى العلوم الدينية ، وكان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة وكلما مضى عالم او استاذ كبير لم يخلفه آخر والمدارس الرسمية تزداد كل يوم عددا وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور ؛

هذا وقد نشط دعاة البدع والخرافات والمحترفون

بالدين وانتشروا في القرى والمدن يدعون إلى رسوم الجاهلية والمحدثات ويأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ويضللون العلماء الأخيار ويكفرونهم؛

خاف علماء الحق على الدين وعلى علوم الدين وخافوا على مستقبل الاسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته وحلول دولة الكفار ورأوا انهم لا تمدهم دولة، ولا تحميهم قوة ولا يملكون اموالا ينفقونها ولا مناصب ووظائف يجذبون الناس إليها، وانما هم مستضعفون في الأرض فقراء ثروتهم العلوم، ورأس مالهم الدين، وزادهم التوكل، وسلاحهم الاخلاص فقاموا وقالوا نبني معقلا للدين تاوي اليه الشريعة الاسلامية وتلجأ إليها العلوم الدينية؛

في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارنبور في مسجد صغير اجتمعت عصابة من اهل الغيرة والفراسة من العلماء الربانيين

أكثرهم من تلاميذ بيت الإمام ولي الله الدهلوي وأصحاب الشيخ الكبير إمداد الله التهانوي المكي على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوي (م ١٢٩٨ هـ) وأسسوا تحت شجرة رمان هنالك مدرسة دينية، كان ذلك سنة ١٢٨٣ للهجرة النبوية؛

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هو الملا محمود الديوبندي وتلميذ واحد وهو الشيخ محمود حسن الديوبندي فكان يوماً مشهوداً محموداً في تاريخ الهند الديني؛

بدأت المدرسة بإعانة فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالاً عاملين مخلصين وأساتذة خاشعين متقين قد تولى الإشراف على شؤنها أمثال العالم الرباني الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ رفيع الدين الديوبندي، والمصلح الجليل والمؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوي،

وتولى رئاسة التدريس فيها امثال الشيخ الصالح مولانا محمد يعقوب النانوتوى والعالم الربانى الشيخ محمود حسن الديوبندى والعالم الضليع الشيخ انور شاه الكشميرى، والمجاهد الشهير مولانا حسين احمد المدنى، فسرت روح التقوى والاحتساب والتواضع والخدمة فى هذه المدرسة فاذا زارها احد فى دورها الاول حسب انه فى زاوية عامرة من زوايا الصوفية؛

ولم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع وشهرة اساتذتها فى الصلاح والتقوى والتبحر فى علم الحديث والفقه تطير فى العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند ومن الاقطار الاسلامية الأخرى، حتى بلغ عددهم فى الزمن الاخير الى خمس مائة والف وزيادة وبلغت ميزانيتها الى ثلاث مائة آلاف وخمسين الف ربية سنويا؛

ويقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم باكثر من عشرة آلاف والذين نالوا

الشهادة منها بنحو خمسة آلاف والذين ارتووا بمناهلها من اهل خارج الهند كافغانستان و افغانستان وخيوا وبخارا وقازان وروسيا و آذربائيجان، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى وتبت والصين وجزائر بحر الهند، والحجاز والعراق والبلاد الشامية واليمن نحو خمسمائة ؛

وكان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند وفضل كبير في محو البدع وازالة المحدثات واصلاح العقيدة والدعوة الى الدين واتباع السنة ومناظرة اهل الضلال والرد عليهم، وكانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة والدفاع عن الوطن وكلمة حق عند سلطان جائر ؛

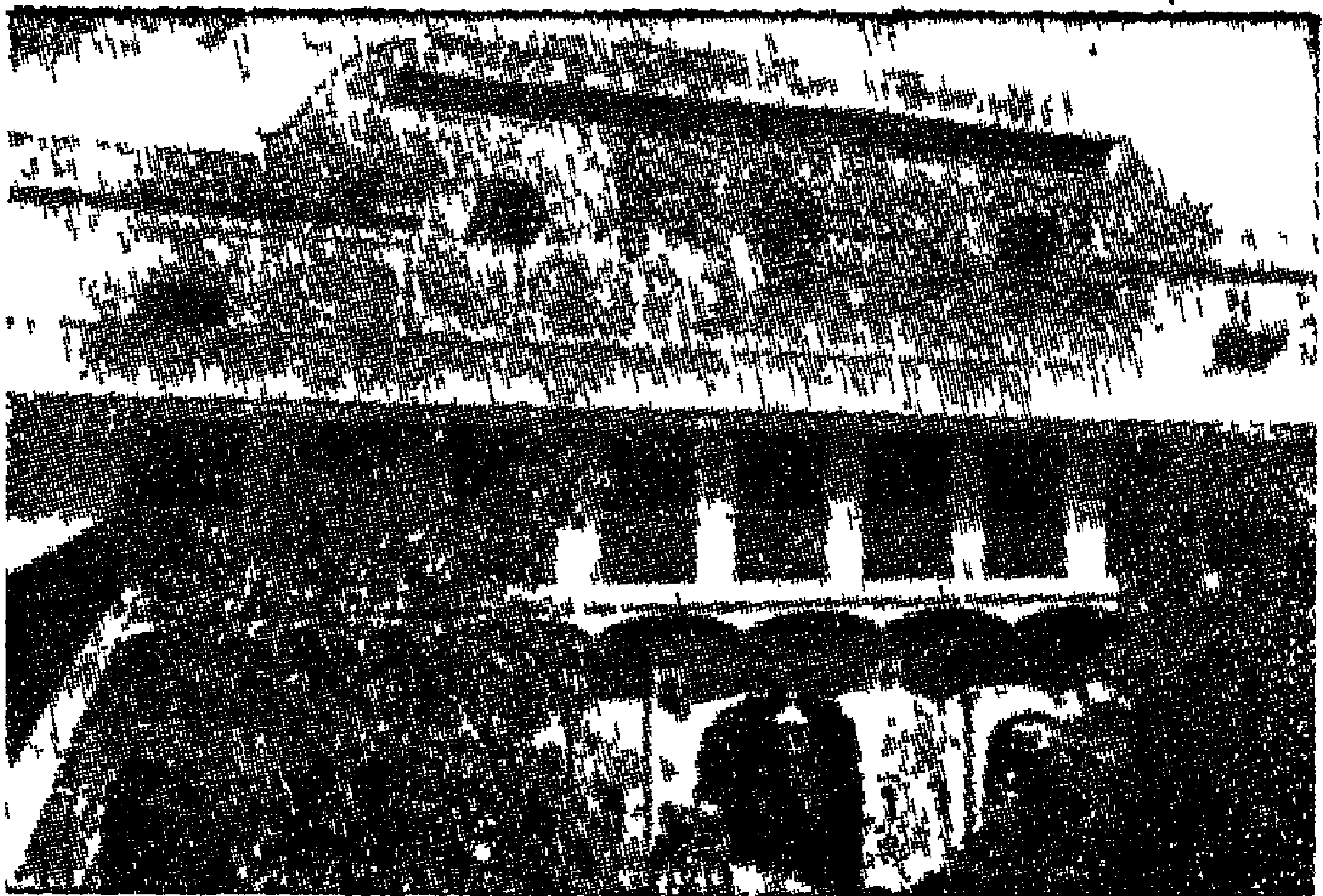
ولدار العلوم مكتبة كبيرة تحتوي على مائة الف كتاب كثير منها مكرر للدرس وفيها عدد من الكتب الخطية ؛

وشعار دار العلوم التمسك بالدين والتصلب

فى المذهب وعدم العدول عنه والمحافظة على التقاليد والدفاع عن السنة والانتصار لرهط الامام ولى الله الدهلوى ؛

وقد تمسكت بالدرس النظامى على علاته وعضت عليه بالنواجذ وقد بدأت فيها اخيرا دعوة التغيير والاصلاح فى مناهج التعليم ولعل الله يحدث بعد ذلك امرا

(٢)



دار الحديث احد مظاهر العلوم و بابها

وفى نفس سنة ١٢٨٣ بعد افتتاح دار العلوم ديوبند

ببضعة أشهر فتح رجال من أهل العلم والدين في مقدمتهم مولانا سعادت علي السهارنفوري الفقيه المشهور (م ١٢٨٦ هـ) من بقية رهط السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد مدرسة ثانية في سهارنفور وكان مولانا سعادت علي يدرس الطلبة في بيته وكان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية في البلد وكثيرا ما كان يتحدث بذلك وفي شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته فقام رجال من أهل الصلاح و العلم من أصدقائه ومعارفه في المدينة و ضواحيها و افتتحوا مدرسة في حي من أحياء البلد في مسجد و ولوا الشيخ سخاوت علي الأنبيتهوي التدريس فيها وبقي مولانا سعادت علي يدرس بعض الدروس ويشرف على شؤون المدرسة وآل الإشراف على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضي البلد؛

وفي شوال في العام المذكور تولى رئاسة

التدريس الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتوى، وبه تسمت المدرسة بمظهر العلوم وزيدت فيها ألف لمعنوعن عام بناء بناية المدرسة الخاصة بها يعنى عام ١٢٩٣ على حساب الجمل و انتقلت المدرسة فى المسجد الى هذه البناية فى شوال وفى اليوم الثامن من هذا الشهر عقد اصحاب المدرسة حفلة بمناسبة افتتاحها فى بنايتها الجديدة خطب فيها الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى خطبة رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات؛

وفى سنة ١٢٩٣ أيضا بدأ المحدث الكبير الشيخ احمد على السهارنپورى صاحب حاشية البخارى الشهيرة يدرس كتب الحديث فى المدرسة ويشرف على شؤنها وبعد وفاة الشيخين احمد على وسخاوت على رعام ١٢٩٧ و١٣٠٢ تداول التدريس فيها مولانا عبد العلى الميرٹھى ومولانا حبيب الرحمن ابن الشيخ احمد على

حتى تبوأ رئاسة التدريس الشيخ الصالح والاستاذ الكبير مولانا خليل احمد الانبيتهوي صاحب بذل المجهود سنة ١٤هـ فأخذت المدرسة زخرفها وبلغت أوجها في كثرة الطلبة وانتشار الصيت وانتظام الدروس ؛

وفي سنة ٢٢هـ جاء الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي من اجمل تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد احمد الگنگوهي والمعروف بذكائه وأبداعه فكان مساعداً للشيخ خليل احمد رحمه الله ؛

وفي شوال سنة ٤٤هـ لما رحل الشيخ خليل احمد الى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبد الرحمن الكامل فوري والاشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارنفوري وتولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل احمد البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوي صاحب اوجز المسالك ؛

ولم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعة من

أول يومها بعناية أعلام الهند فى الدين والصلاح كالعالم الربانى الشيخ رشيد احمد الكنكوهى والشيخ اشرف على التهانوى والشيخ عاشق الهى الميرتهى والشيخ محمد الياس الكاندهلوى والشيخ عبد القادر الرايئ پورى وحازت ثقة المتدينين فكانت تلو معهد ديوبند فى كثرة الطلبة ونبوغ الاساتذة وقد خرجت عددا كبيرا من العلماء الصالحين والرجال العاملين فى ميادين العلم والدين؛

ولعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة فى شرح كتب الحديث وخدمة هذا الفن الشريف من أجلها بذل المجهود فى شرح سنن أبى داؤد للشيخ خليل احمد وأوجز المسالك فى شرح المؤطا للامام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى؛

وتمتاز مدرسة مظاهر العلوم وأساتذتها وطلبتها ببساطة فى المعيشة والقناعة بالكفاف وحسن السمت والتواضع والاقبال الكلى على العلم والدرس والاشتغال بخاصة النفس؛

من النجوم إلى الأرض

درست في المدرسة أمس ان النور يقطع مائة الف وستا وثمانين ميلا في ثانية وانه يمكن به ان يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط في أقل من ثانية؛

وسمعت من النجوم ما لا يصل ضوءه الا فى الفى عام ومنها ما لا يصل ضوءه الا فى اكثر من ذلك وان ضوء بعض النجوم منذ طلعت لا يزال فى طريقه الى الأرض ولما يصل اليها؛

لى غرام شديد بالتاريخ، لا ازال اطالعه برغبة عظيمة وأتمثله امام عينى، كأن الحوادث واقعة والأشخاص أحياء ولا ازال أتأسف على مافاتنى من مشاهدة الحوادث فى ساعتها و من زيارة رجال من عظماء التاريخ فى زمانهم. لم أزل منذ صباى اقول لوالدى وأصدقائى ياليتنى وُلدت فى الزمن الماضى فشاهدت كذا

وكذا من الوقائع، وزرت فلانا وفلانا من الرجال لقد غاب عني طوفان نوح، ومحنة ابراهيم، و خروج بني إسرائيل، وسبقتني بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام، وفاتني عهد الخلافة الراشدة، وفاتتني حضارة بغداد، وعهد قرطبة وغرناطة وفاتني وفاتني

وكنت أعد الحوادث الكبيرة والرجال العظماء وأقول في حزن وأسف لقد تأخرت كثيرا، فليت الزمان يعود، وليت البشرية تأنفون السفر، وليت العالم يرجع القهقرى، و ليت التاريخ يرتد على أعقابه، فأشاهد ما مضى وأعاشر من سبق؛

وكنت أفكر لو كان أحد فوق نجم لا يصل ضوءه الى الأرض الا في آلاف او مآت من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف او مآت من السنين، وكذلك يمكن ان يطالع اهل النجوم أدوار التاريخ الماضية ويشاهدون الحوادث

والأشخاص فى زى منهم وفى هيئتهم ؛

سررت من ذلك جداً كأنى وجدت ضالتى وعرضت هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعيات لأنى لا آمن على نفسى الخطأ ؛

قال المعلم نعم إذا فرضنا أحداً فوق الشمس ـ وهى تبعد من الأرض ثلاثة وتسعين مليوناً ـ فإنه يرى فى الأرض ما وقع قبل ثمانى ثوان فقط فإن ضوء الشمس يصل الى الأرض فى ثمانى ثوان ؛

وهكذا استنتج ونقول من كان فوق النجوم العالية التى يصل ضوءها الى الأرض فى آلاف من السنين، لكانوا يرون حوادث قبل التاريخ وما وقع قبل آلاف من السنين بعد آلاف من السنين؛

لم أزل أفكر فى ارتفاع النجوم وبعدها عن الأرض ومطالعة أهلها لما وقع فى الأرض، حتى لم أشعر إلا وانى فى مكان أطالع فيه الأرض بمكبّرة كبيرة ؛

فإذا بى أرى الأرض غير الأرض التى كنت

أرى فيها والناس غير الذين عهدتهم وأرى المساجد عامرة غاصة بالمصلين وأرى الحدود قائمة واحكام الشرع نافذة وأجيل مكتفى وانظر من خلالها فلا أرى فجوراً ولا دعارة ولا سكراً ولا قماراً !

واطلعت على بقعة فيها نخل كثيرة ومسجد بسيط قد غشيته سحابة من النور والبركة و عرفت أنها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ورأيت بيوتا متواضعة قد بنى أكثرها من اللبن ولكني رأيت هنالك سفراء الدول الكبيرة وابناء ملوك قد أسلموا، فعرفت أن هذه المدينة الصغيرة مع بساطتها تحكم العالم ويجبى اليها خراج ايران وروما !

وبحثت في هذه المدينة فلم اجد فيها محكمة ولا سجنا، فقلت في نفسي فاين يذهب المتخاصمون وأين يحبس المجرمون ؟ فإذا بي أرى رجلاً جالساً في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في ثياب

مرقوعة ألقيت عليه مهابة وجلال، قد حضر لديه خصمان ورفعا إليه القضية فى بساطة الأعراب، وقالا «خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا ولا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط».

سمع الرجل القضية فى هدوء وتأنٍّ وقال للمدعى «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر فهل عندك بينة أو استحلف الرجل؟» وقدم الرجل شهودا عدولا فقضى له وانفصلت القضية فى ساعة وقام الخصمان راضيا بحكم الشرع، فقلت ولا يحتاج هؤلاء إلى محكمة ومحامين!

ورأيت أبواب البيوت فى الليل مفتوحة، ورأيت بيت المال وقد أتى إليه خراج إيوان فى ذلك اليوم ليس له حارس ولا شرطة وقد جاء تاج كسرى وهو يساوى مائت ألف من الدنانير وقد وقع إلى جندى حقير فأداه إلى أمير الجند وأرسله أمير الجند إلى الخليفة وجاء بعض السراق وقد توافقطعت يدهم، فقلت

لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أو محبس !

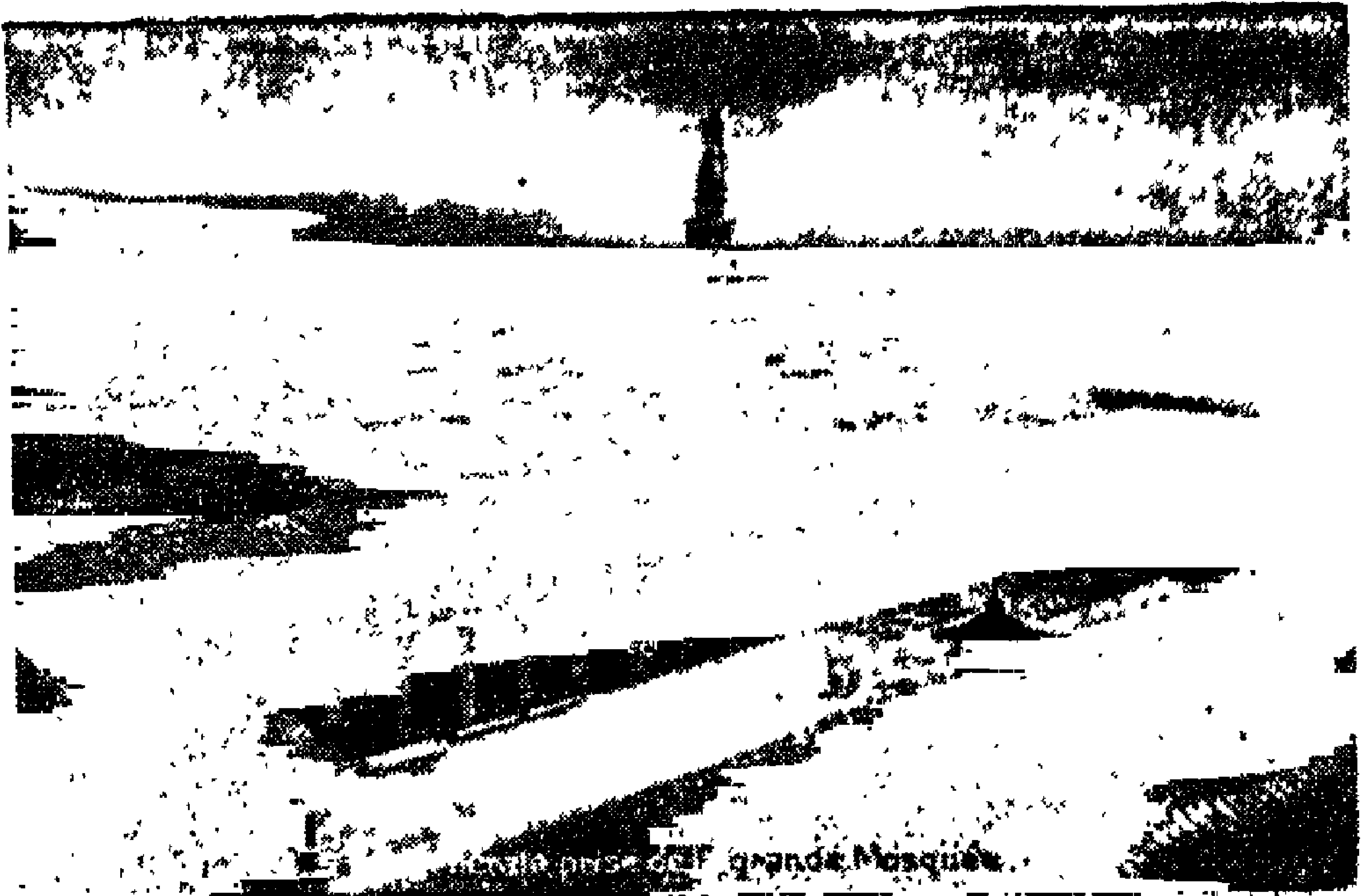
وأشرفت على بيوتهم فوجدت معيشة صافية وعيشة راضية لا يكدرها حسد ولا بغضاء ولا طمع ولا جشع، يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ويهدى جار إلى جار فتدور الهدية على الحي وترجع الى صاحبها الأول، لا يأكل فيهم القوى الضعيف ولا يظلم الكبير منهم الصغير، يحنو عليهم الخليفة والأمراء فهم لهم كالآباء ويطيعهم العامة ويوقرونهم وينصحون لهم فهم لهم كالأبناء ويتناصحون بينهم فهم إخوة !

واطلعت على تكناتهم وسمعت ان الجند أفسد الناس أخلاقا وأبعدهم عن الدين والفضيلة في كل زمان فوجدتهم بالليل رهبانا يسردون كتاب الله، وأما النهار ففرسان يثقفون القنا ويريشون النبل، يوفون بالعهد ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر

لا يأكلون في ذمتهم إلا بثمن ولا يدخلون إلا بسلام ويعفون عن المحارم ويغضون البصر، فقلت إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهاد؛

قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة، وصدقت ما قرأت في التاريخ وقلت ذلك قليل من كثير؛

من النجوم إلى الأرض



منظر عمومي لدمشق الشام

(٢)

ونزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيّرت وان العاصمة قد تحولت من المدينة — على ساكنها الف الف سلام — الى دمشق الشام، فاذا قصور عالية قد عُلّقت على أبوابها ستور

جميلة وكسيت جدرانها بثياب فاخرة ، وإذا مساجد شامخة تناطح منارتها السماء وهي عامرة بالمصلين ورأيت فيها حلقات الدرس ومجالس العلم وهي غاصة بطلبة علوم الدين ، والشيوخ يحدثون عن النبي صلى الله عليه وسلم والناس يكتبون ويحفظون ؛

ورأيت الناس انواعًا منهم الزهاد والعباد وطلبة العلم ومنهم المترفون ، ورأيت آثار الحرية والترف ورأيت الناس طبقات في الغنى والثروة والجاه والشرف ، فهذا ابن الخليفة في زهوه وخيلائه وذلك عامل العراق في خدمه وحشمه ، وهذا سوقي وذلك شريف ؛

ورأيت بعض الحدود قائمة وبعض أحكام الشرع نافذة ، ورأيت العلماء وأهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين فيخضعون لهم ويستسلمون ورأيت الناس غير مجاهرين بالفسوق غير مصرين على المعصية يحتشمون اهل الدين والعلم ،

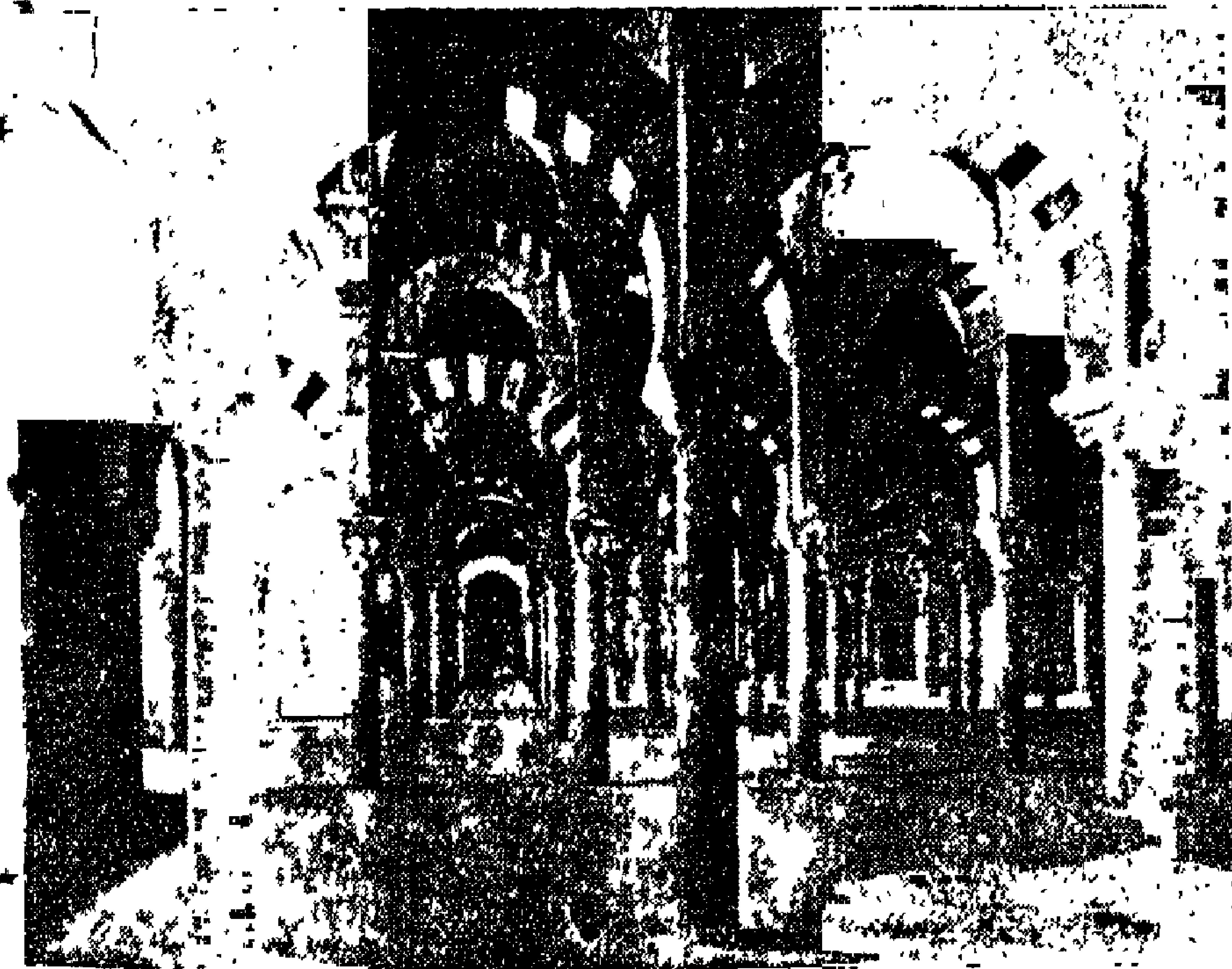
ورأيت الخليفة والأمير مع ترفه يصلي بالناس ويخطب فيهم ويجلس لهم ورأيت مدنية عربية فالخلفاء يصلون الشعراء بجوائز كبيرة وينحرون جزوراً ويطعمون الناس، ورأيت دولة المسلمين قد اتسعت حتى امتدت إلى حدود الهند في جانب وإلى ساحل البحر الاطلانتيكي في جانب آخر لا تقطع في أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل؛

فقلت لعل هذا عصر الأمويين ولعلي في نهاية القرن الأول؛

ثم انحدرت إلى أسفل، فرأيت مدينة حديثة على ضفتي دجلة ورأيت مدنية خليطاً، فيها صور عربية وفيها صور عجمية والناس اخلاط فيهم العرب وفيهم الفرس وفيهم أهل الهند وكثير منهم الترك، ورأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه المماليك، وكذلك قصور الوزراء والأمراء، ورأيتهم يخرجون في مواكب ملوكية في ابهة عظيمة؛

ورأيت بعض الناس يربون الحمام ويشترونه باثمان غالية ويتهارشون بالديوك والكلاب ورأيت انواع اللهو واللعب، فقلت جاء هذا من كثرة الاموال واختلاط الأعاجم؛

جامع قرطبة



ناحية من نواحي جامع اندلس

ورأيت القضاة وقاضى القضاة قد ازدحم عليه المتظلمون وهو يقضى بينهم وقد تأخذ قضية أياما، ورأيت السجون قد غصّت بالمجرمين

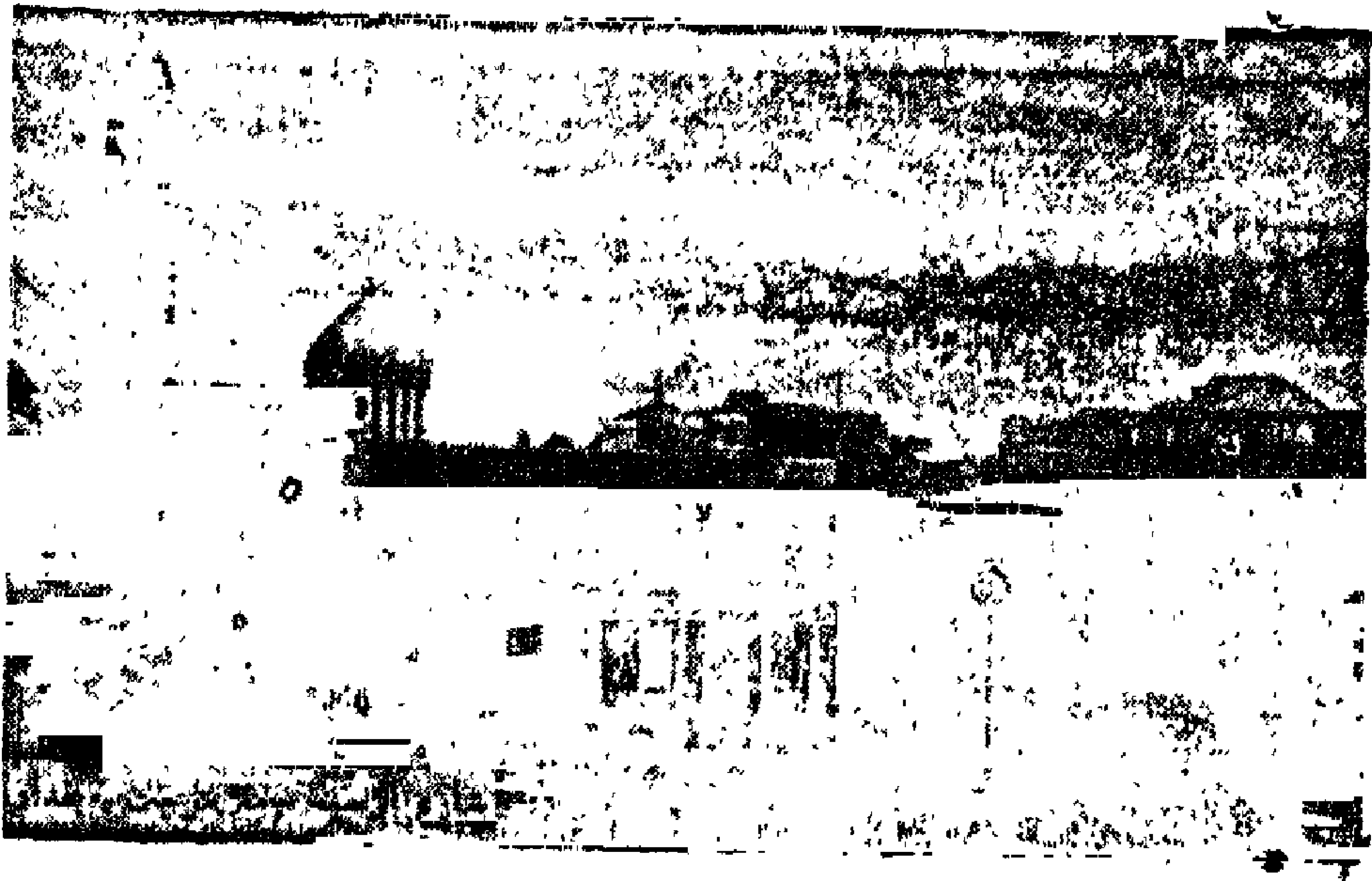
واللصوص والشطار ين ؛

ورأيت كذلك مساجد مزدحمة بالمصلين ، ومدارس غاصة بطلبة علوم الدين ، ومجالس الوعظ عامرة بالمستمعين ورأيت الناس يجزون نواصيهم ويخرون مغشيا عليهم ويتوبون عن المنكرات ، ويسلم كثير من اهل الذمة كل جمعة ، فقلت ان الناس لم يفقدوا قلوبهم وان الدين لا يزال له سلطان على القلب والروح ؛

ورأيت كذلك رجالا منقطعين عن الدنيا معرضين عن الملوك وجوائزهم وصلاتهم يأتي اليهم الناس من خراسان والهند وايران ويستفيدون ، وتاتيهم الدنيا راغمة ويأتيهم الملوك والأمراء صاغرين ، فرأيت دولة دينية تزاحم الدولة المادية وتفوقها في العزة والسلطان ؛

ورأيت اكبر دولة على وجه الأرض ينظر ملكها او الخليفة — كما يقول الناس في تلك البلاد — الى سحابة فيقول " امطري حيث شئت فسياتيني خراجك "

فقلت هذه بغداد عاصمة الدولة العباسية ولعلى فى القرن الثالث ؟



شارع الرشيد وجامع مرجان في بغداد

وحانت منى التفاتة الى خليج جبل الطارق فرأيت على ضفته مدينة زاخرة العمران شامخة البنيان ورأيت فيها قصوراً متسقة، وحدائق متناسبة

وشوارع مرصوفة وعيونا متدفقة وجسوراً منصوبة ومساجد مزخرفة ومدارس مشيدة فتذكرت ما قرأت فى التاريخ عن مدينة قرطبة وعرفت ان مساحتها ستة عشر ميلا فى الطول وستة اميال فى العرض وان فيها مائة الف وثلاثة عشر الفا من القصور والمنازل وثمانون الفا وأربع مائة من الدكاكين وسبع مأت من المساجد وتسع مائة حمام واربعة آلاف وثلاث مائة مخزن و احصاء المدينة يربى على مليون ،

ورأيت فى المدينة منتزهات فسيحة و حدائق ذات بهجة وطرقا وشوارع مبلطة بالحجر وسرادقات منصوبة يأوى إليها الغرباء والباعة والسابلة فى الحر والشمس ، ورأيت الاسواق مشحونة بالمتاجر والسلع الغالية التى جلبت من بلاد بعيدة ، ورأيت رباطات للجوّابين والتجار ؛

ورأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت اجمل منها على وجه الأرض فقلت لعلها

مدينة الزهراء المعروفة فى التاريخ وأنا فى القرن الرابع وهذه أيام ملك الاندلس عبد الرحمن الناصر او ابنه حكم الثانى ؛

من النجوم الى الأرض

(٣)

وصرفت نظرى من الغرب الى الشرق ، فرأيت دولة قوية واسعة قاعدتها نيسابور تحكم خراسان والعراق وايران ويتحكم ملوكها فى بغداد وينصبون ويعزلون ، ويغزو ملكها الب ارسلان الافرنج فى ديارهم ويأسر ملكهم النصرانى و يضرب عليهم الجزية وقد بلغت هذه الدولة اوجها فى عهد ملك شاه ووزيره الفاضل نظام الملك الطوسى فرأيت المدرسة النظامية فى بغداد عامرة آهلة يدرس فيها مثل الامام ابى حامد الغزالى ، وتنفق عليها الدولة السلجوقية ورأيت شقيقتها المدرسة النظامية فى نيسابور

يدرس فيها مثل امام الحرمين الجويني، فقررت بذلك عينا ودعوت للدولة السلجوقية وملكها ووزيرها؛

وما لبثت ان رأيت الأفرنج يحملون الصلبان ويغيرون على البلاد الاسلامية ورأيتهم من كل حدب ينسلون وقد جن جنونهم حتى سافر الوف من الأطفال والغلمان من بلاد الأفرنج ليفتحوا القدس وقد غرق أكثرهم فى الطريق وماتوا، ورأيت ملوك اوربا قد تحالفوا على ذلك وقد انفقت من اوربا جنود من الصليبيين حتى أخذوا القدس ووضعوا فى المسلمين السيف حتى سالت بدمائهم سكك مدينة القدس وزلقت فيها الخيل واخذوا أكثر مدن سورية وفلسطين وهددوا مصر والعراق وطمعوا فى الحجاز وبلغت بهم الجراءة والوقاحة ان حلف منهم أمير على اهانة الجسد الطاهر الدفين فى المدينة عليه ألف ألف سلام؛

رأيت كل ذلك والتفت الى الدولة السلجوقية في نيسابور وقلت اين ملوكها الذين كانوا يغزون الافرنج ويهزمونهم مرة بعد أخرى فاذا هي قد انقرضت سنة ٥٢٢ والتفتُ الى المسلمين فرأيتهم في لهو ولعب، وفي غزو ونهب بأسهم بينهم شدايدا.

ورأيت الناس والملوك والوزراء والعلماء في شغل عن الافرنج فخفت على الاسلام وقلت على الدين السلام:

واذا بالسلطان نور الدين الزنكي والسلطان صلاح الدين الايوبي قد نزلا بالافرنج وقارعاهم قراعا شديداً، ولم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الافرنج في طبرية شرهزيمة ودعا بالبرنس الذي حلف على اهانة جسد الرسول صلى الله عليه وسلم وضرب رأسه بيده قائلا اليوم انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم:

وانتزع القدس والمدن الشامية من

ايدى النصارى وبيّض وجه المسلمين فى العالم
وكان فتحا تضاءلت أمامه الفتوح واشتى عليه
الملائكة والروم وقال قائل من المسلمين :

هذا الذى كانت الأيام تنتظر
فليوف لله أقوام بما نذروا

ثم انحدرت إلى اسفل فرأيت ان بغداد التى
زرتها قبيل دقائق فقط قد زحف اليها جبر اد
من التتر فخربها تخريبا وخبروا من دماء اهلها
أنهارا أو رفعوا من رؤسهم منارا وقتلوا الخليفة
المستعصم شر قتلة ورموا بالكتب النفيسة فى
ماء دجلة فاسود تارة بسوادها واحمر تارة
بدماء اهلها ولولا انى أعرف مكانها على شاطئ
دجلة لانكرت هيئتها ولم أعد أعرفها !

. ورأيت التتر جرادا منتشراً فى العالم الاسلامى
وقد خربوا المدن الاسلامية الكبرى وعواصم
الشرق ، نقضوا بناياتها وخربوا مساجدها ، و
حرقوا دورها ، وذبحوا أهلها ، مزّقوا دولة

خوارزمشاه فى خراسان وقضوا على الخلافة العباسية في العراق، واستشعر المسلمون الخوف والجبن حتى صاروا لا يصدقون بهزيمة التتر واشتهر على ألسنتهم إذا قيل لك ان التتر انهزموا فلا تصدق؛

وخفت على الإسلام مرة ثانية وقلت لعل هذه آخر ساعة من ساعاته، وإذا بى أرى التتر يدخلون فى الإسلام أفواجا وإذا بفاتح المسلمين يعود مفتوحاً للإسلام فعرفت أن هذا الدين خالد، وانه يقهر كل قاهر؛

ولكن ضعف أمر المسلمين، وساد الجمود والخمود فى انحاء العالم الإسلامى ولم أر شيئا يقر العين ويشرح الصدر ويبعث الأمل فى النفس إلا انى رأيت فى آسيا الصغرى جمرة من حياة وآية من نشاط فقد أسس الغازى عثمان خان دولة مستقلة، وكانت لهذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم وقد فتح شبلها الغازى

محمد الثاني القسطنطينية عاصمة العالم النصراني في سنة ١٤٥٣م واتخذها قاعدة ملكه وخلفه ملوك عظام توغلوا في اوربا وقهروا الأمم النصرانية ؛

هنالك التفتُّ الى بلاد الاندلس مرة ثانية فرأيت قرطبة وما جاورها من البلدان الاسلامية قد خرجت من ايدي المسلمين واذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى ، يرنُّ فيها الناقوس ، واذا وجوه عربية ودين نصراني ، وحضارة شبه عربية وحياة جاهلية فاسترجعتُ وبكيتُ ،

وسرَّحت طرفي في جزيرة الاندلس فرأيت غرناطة العربية الاسلامية كأنها جزيرة الاسلام في بحر الكفر والظلمات وما لبثت ان غمرها الماء ايضا واستولى عليها الملك النصراني فردنند وملكتها ازابلا ورأيت أبا عبد الله آخر ملوك بني الاحمر يسلمها مفاتيح ملكه و يلقي على غرناطة وقصر الحمراء نظرة الوداع ويبكي و يرحل الى مراكش ؛

وما لبثت ان رأيت البلاد الاندلسية الاسلامية تُحوَّل نصرانية والامة العربية تُجبَرُ على الارتداد رأيت مساجد تهدم أو تحول كنائس ومدارس تعطل ومكاتب تحرق وقبوراً تُنسَف وأجساداً تُنبش وأحياءاً يحرقون ويشنقون، وما لبثت البلاد التي حكم فيها الاسلام ثمانية قرون ان اصبحت نصرانية ليس فيها احد يلفظ بكلمة الاسلام، ويؤمن بمحمد عليه السلام؛

راعني هذا المنظر وفزعت منه فاذا انا على فراشي وقلت لعل الله اراد بي خيراً فقد أراني اطوار العالم الاسلامي والوان المسلمين، أراني عهد الخلافة الراشدة ثم أراني انحطاط المسلمين وأراني كيف يسلموا لكافر ويخضع القاهر وكيف يرتد المسلم وتتنصر البلاد الاسلامية بغفلة المسلمين وسوء سيرتهم؛

وقمت وقد آليت على نفسي ان اكون جنديا للاسلام مرابطا على ثغوره وان لا تعود مأساة الاندلس في العالم الاسلامي؛

رثاء الاندلس

لكل شيئ إذا ما تم نقصان
فلا يُغَرّ بطيب العيش إنسان
هى الامور كما شاهدتها دُوَل
من سرّه زمن ساءته ازمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد
ولا يدوم على حال لها شان
فجائع الدهر انواع منوعة
وللزمان مسرّات واحزان
وللحوادث سلوان يسهّلها
وما لما حلّ بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة امر لا عزاء لها
هوى له احد وانهدّ ثهلان
اصابها العين فى الاسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شان مرسية

وأين شاطبة أم أين جيان

وأين قرطبة دار العلوم فكم

من عالم قد سما فيها له شان

وأين حمص وما تحويه من نزه

ونهرها العذب فياض وملآن

تبكي الحنيفية البيضاء من أسف

كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الاسلام خالية

قد اقفرت ولها بالكفر عمران

حيث المساجد قد صارت كنائس ما

فيهن الا نواقيس وصلبان

حتى المحاريب تبكي وهي جامدة

حتى المنابر ترثي وهي عيدان

وماشيا مرحا يلهيه موطنه

أبعد حمص تغر المرء اوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها
وما لها مع طول الدهر نسيان
أعندكم نبأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم
قتلى وأسرى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع فى الاسلام بينكم
وأنتم يا عباد الله إخوان
ألا نفوس أبيات لها همم
اما على الخير انصار واعوان
يا من لذلة قوم بعد عزهم
احال حولهم جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعتهم
لهالك الأمر واستهوتك أحزان

يارب ام وطفل حيل بينهما
كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلة مثل حسن الشمس اذ طلعت
كأنما هى ياقوت ومرجان

يقودها العلج للمكروه مكرهة
والعين باكية والقلب حيران

لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام وإيمان

«صالح بن شريف الرندى»



ندوة العلماء



مدرسة دار العلوم ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين فى القرون المتأخرة الى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين والدنيا فحدث فى الاسلام بدعة فصل الدين والدنيا فاستبد الملوك بدنياهم و انقطع العلماء بدينهم وبقى العامة لاقائد

لهم ولا راشد وصار الاسلام ركا لنصرانية ، عرش وكنيسة ولكل رجال وقيصر ملاله ولكل نصيب ولكن عرش بدون قوائم، وكنيسة بغير حرّاس،

ولما طال بعد العلماء عن الحياة صار ورا أجانب عن الحياة وعن الدنيا وعن السياسة حتى اذا تداخلوا فى شأن من شؤنها كان ذلك حجة لاهل الدنيا على اهل الدين لعدم خبرة العلماء وقلة مهارتهم فى شؤن الحياة و علوم العصر؛

وتشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وبمسائل لا تجدى نفعا وتشاغلوا فى الزمن الأخير بالجدل و الشقاق والتكفير والتضليل وصاروا يجاهدون فى غير جهاد ويحسبون انهم يحسنون صنعا ، فكم سالت دماء وكم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية فى محاكم الكفار وكم وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين فى الهند ؛

استولت اوربا على الارض وكانت كما وصف الله سبحانه وتعالى (مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ) فهجمت على الاسلام من طريق العقل والنقل والفلسفة والحكمة والتاريخ والأدب ومن طريق السياسة وباسم الحضارة والثقافة وعجزت الآلات التي حارب بها أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية فاقتضى الحال ان يجدد علماء الاسلام آلات الدفاع عن الاسلام ويجددوا آلات أخرى للهجوم على العدو؛

هذا والمسلمون في الهند بين طائفتين، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب و آمنت بعصمة الغربيين في علومهم وبسيادتهم وإما متهم في كل شئ ودعت الى قبول نظامهم في التعليم على علاته، وطائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين في منهاج درسهم و ترتيبهم للكتب لا يرون عنه بدلا ولا يجدون

عنه محيصًا ويرون العدول عنه في شئ ضربًا من التحريف ونوعًا من الابداع فكاد الدين وكاد العلم يضيع بين جاحد وجامد؛ •

أدرك هذا الخطر رجال من اهل الدين المتين والعلم الراسخ والنظر الثاقب في مقدمتهم العالم الكبير والشيخ الصالح مولانا السيد محمد على المونگيرى رحمة الله عليه وكثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل الرحمن الگنج مرادآبادى قدس الله سره وتلاميذ الاستاذ الكبير مولانا لطف الله العليگرهى ينتهى نسبهم العلمى الى بيت الشيخ ولى الله الدهلوى واجتمعوا وشاوروا في الأمر؛ وكانوا قد اجتمعوا في حفلة مدرسة فيض عام في كانپور التي أسسها المفتى عنايت احمد (م ١٢٧٩) استاذ الشيخ لطف الله؛ •

اجتمعوا في هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ وبحثوا في مسائل التعليم الديني ومستقبل المدارس العربية وشئون المسلمين الاجتماعية والخلقية وصحت عزيمتهم

على تأسيس جمعية دينية علمية تُعنى بمسألة التعليم الديني واصلاح المسلمين الاجتماعي الخلقي والجمع بين طبقات المسلمين عامة وطبقات العلماء وأحزابهم خاصة؛

أسس هؤلاء العلماء - وهم نخبة علماء الهند - جمعية باسم ندوة العلماء وعقدوا حفلتها الأولى في كانبور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الاستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليكرهي، وأرسلوا دعوتهم الى جمع كلمة العلماء ورفع الشقاق والنزاع من بينهم واصلاح المدارس القديمة والتغيير اللائق في منهاج الدرس؛

اجتهد أعضاء الندوة في ذلك واجتمعوا وتشاوروا وكاتبوا وراسلوا وخطبوا وكتبوا في هذا الموضوع ولكن علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم الا اذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الأخرى؛

فأسسوا في لكهنؤ عاصمة الولايات المتحدة

فى الهند — على دعوة السرى المخلص الشيخ
أظهر على الكاكوروى (م ١٣٢٦هـ) دفين البقيع —
مدرسة دينية عربية هى دار العلوم التابعة
لندوة العلماء وكان ذلك سنة ١٣١٢هـ تولّى إدارتها
والإشراف على شؤن مدرستها رجال يمتازون
بمتانة فى الدين مع تسامح فى الخلافيات والفروع
ورسوخ فى علوم الدين مع اطلاع واسع على
شؤن العصر ومحافظة على الشرع والتقوى مع
حب الجمع بين طبقات الأمة وهم من بيوتات
علم ودين فكان مولانا السيد محمد على انونگيرى
(م ١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمٰن
الگنج مرادآبادى اول مدير ندوة العلماء وخلفه
مولانا مسيح الزمان الشاه جهانپورى (م ١٣٣١هـ)
استاذ سمو نظام حيدرآباد السابق وخلفه مولانا
خليل الرحمٰن السهارنپورى (م ١٣٥٥هـ) ابن المحدث
الكبير مولانا احمد على السهارنپورى صاحب حاشية
البخارى وخلفه مولانا السيد عبد الحى الحسنى

رم ١٣٤٢هـ) صاحب نزهة الخواطر والمولفات العربية الجليلة من بيت السيد الامام احمد بن عرفان الشهيد وخلفه مولانا السيد على حسن خان رم ١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوپال وخلفه الاستاذ الدكتور السيد عبد العلى الحسنى نجل مولانا السيد عبد الحى مدير ندوة العلماء الأسبق؛

وكان الإشراف على شؤنها التعليمية الى الأستاذ الكبير والمورخ الشهير الشيخ شبلى النعمانى رم ١٣٣٢هـ) ثم الى تلميذه النابغ الاستاذ السيد سليمان الندوى؛

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين ورجال العلم والدين من أول يومها كمولانا ظهور الاسلام الفتحپورى ومولانا نور محمد البنجابى ومولانا تجمل حسين البهارى من كبار أصحاب الشيخ فضل الرحمن والشيخ سليمان البهلواروى والسيد

الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشروانی رئیس الشؤن الدينية فی امارة حیدرآباد سابقًا من اقدم اعضاء الندوة ومن كبار حماتها والشيخ رحیم بخش وصی امارة بهاولپور سابقا والعلامة عبد الحق الحقانی صاحب التفسير المشهور والشيخ سليمان المنصورفوری والمنشی احتشام علی الكاكوروی، وغيرهم؛

وتولى التدريس فی دارالعلوم علماء كبار من مشاهير علماء الهند وخارجها كالشيخ محمد فاروق الچریاکوتی والشيخ عبد الله التونكی والشيخ محمد طیب المكی والشيخ شیر علی الحیدرآبادی والشيخ محمد بن الحسين اليمانی والشيخ امير علی اللكهنوی والشيخ حفيظ الله البندولی والشيخ شبلی الاعظمی والشيخ حیدرحسن خان التونكی والشيخ تقی الدين الهلالی المراكشی؛

تأسست ندوة العلماء على مبدأ التغيير والاصلاح فی نظام التعليم الدينی وفی منهاج

الدرس العربي فحذفت وزادت وغيرت وأصلحت في منهاج التعليم؛

حذفت المقدار الزائد من كتب المنطق والفلسفة اليونانية التي ضعفت الحاجة اليها في هذا العصر وأعطت القرآن حصته من العناية فقررت درس متنه الشريف حرفاحرفا لغة ونحوا وادبا واجتماعا وفقها وكلاما هذا ماعدا التفاسير المقررة في الصفوف العالية والزمت تدريس القرآن والحديث بالتدريج في سنيها التعليمية؛

زادت مقدار دراسة اللغة العربية وآدابها لان اللغة العربية والادب العربي مفتاح كنوز الكتاب والسنة والرابطة الادبية في الشعوب الاسلامية ووجهت عنايتها الى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر وكلغة حية يكتب بها ويخطب لا كلغة أثرية عتيقة ميتة ، وألفت لذلك كتبا تساعد على ذلك وقد أتيح الناس

بفضل الندوة فى هذه الناحية ؛

قررت تدريس اللغة الانكليزية وبعض العلوم العصرية كالجغرافية والتاريخ والعلوم الرياضية والسياسة وعلم الاقتصاد ليطلع العلماء على مقتضيات العصر ويتسلحوا بالاسلحة الجديدة للدفاع عن الدين ؛

أنست ماكان بين أهل المذاهب والطوائف الفقهية كالحنفية والشافعية وأهل الحديث من المشاجرات ودواعى العصبية ونجحت فى ذلك نجاحا تاما فلا تشرف دار هاراً لحملة الخلاف والحقد المذهبى وترى الطلبة من كل مذهب اخوانا متقابلين فى قاعة درسهم وداراقامتهم جنبا لجنب ؛

مبدأ الندوة وشعارها ان تخرج من مدرستها رجالا مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد شارحين للشريعة الاسلامية بلغة يفهمها أهل العصر وباسلوب يستهوى القلوب

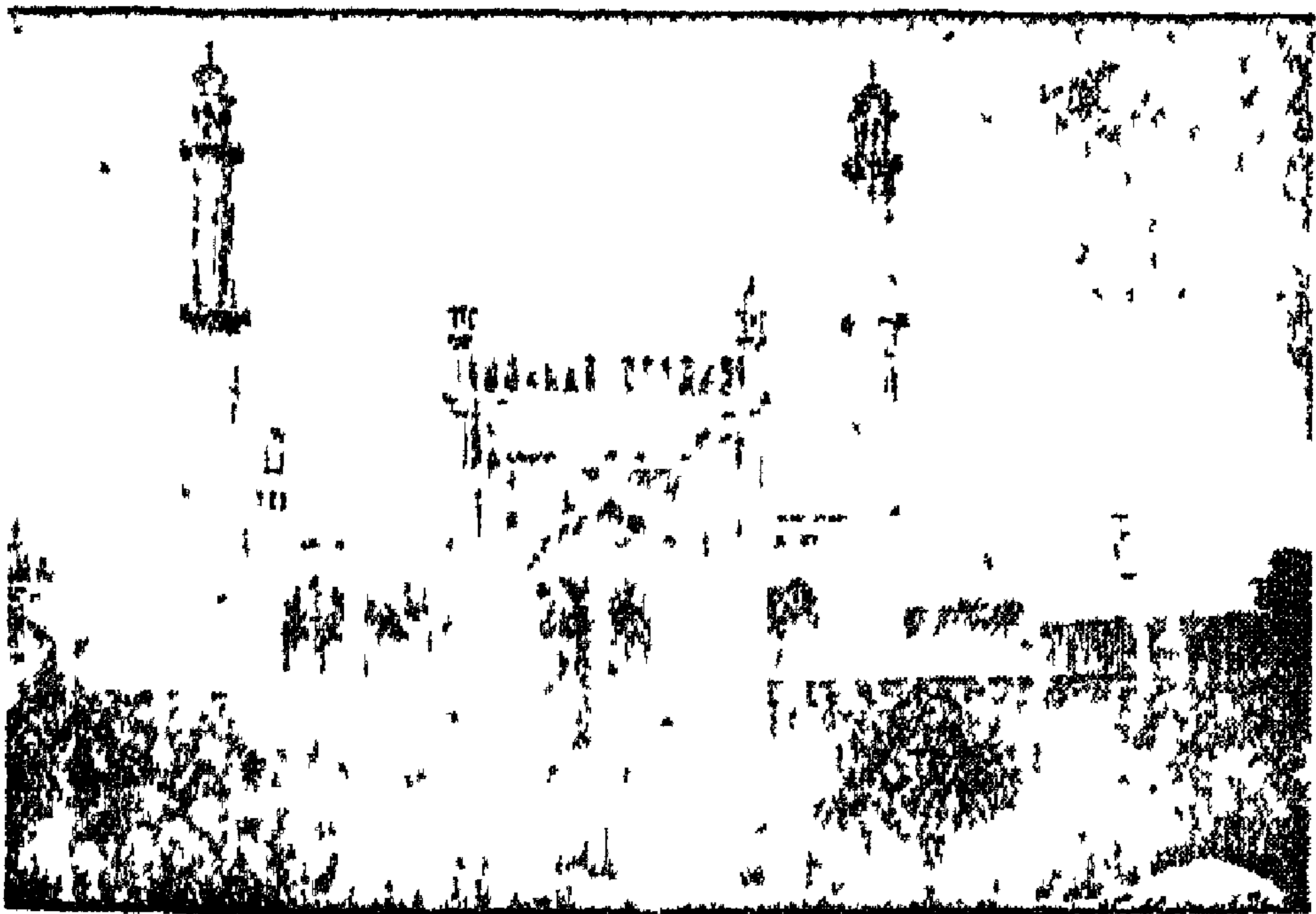
أمة وسطا بين الجامدين والجاحدين ؛

وقد أنجبت في مدة قليلة رجالاً هم خير مثل للعالم المسلم العصري الديني فقد قامت بهم حجة العلوم الاسلامية على أهل العصر الجديد ورفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين ولهم آثار جميلة خالدة في الأدب الاسلامي وعلم التوحيد لأهل العصر الجديد والسيرة النبوية والتاريخ ككتاب سيرة النبي في ست مجلدات كبار وهي موسوعة اسلامية واكبر كتاب ألف في السيرة النبوية ومهمات الدين في هذا العصر للشيخ سليمان الندوي ، وكتب في تراجم الصحابة وسيرهم للمتخرجين من دار العلوم ورسالة قيمة في الدين والعلوم العقلية للاستاذ عبد الباري الندوي الى غير ذلك من الكتب والرسائل ؛

وقد أنشأ المتخرجون من الندوة جمعية دار المصنفين في اعظم گڈھ وهي من المؤسسات

العلمية الكبيرة فى الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم "معارف" ؛

ولدار العلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر گومتى فى مدينة لكهنو ومكتبة كبيرة تحتوى على ٣٨٠٧٩ كتاب أكثرها غير مكرر و١٨٠٠ من الكتب الخطية النادرة ودار لاقامة الطلبة ومسجد جميل ؛



على لسان الندوة

عفى ديار علوم الدين قاطبة
نسج الدبور وارياح جرت نقما
يا للمدارس اضحت وهى دارسة
يا للمكاتب تبكى العلم والعُلَما
اما سمعتو بكاها وهى صارخة
صراخ ثكلى على مولودها اختُرِما
وارحمتاه لأرض الدين ينقصها
ريب المنون ممدّا اسيلها العرما
وارحمتاه لدين قل عصبته
من كل حام حماه راسخ قدما
وارحمتاه لدين قل ناد به
واللرجال وواسيفاه واقلما
يا للبقية صونوا الدين تنتصروا
يصونكم ربة المجد والحشما

انّ محاذركم من وقع واقعة
يمسي الوليد لديها هيبة هَرِما
الا فذا واحذاركم في كل آونة
فما اتقى الناس الا كيّس حزما
ووثقوا عروة الاسلام أوهنها
تفرق فيكم قد حلّ مخترما
هذي اختلافاتكم كم شخصت بكم
وسفهت عرب الاسلام والعجما
اليس اكمل هذا الدين ربكم
اما اتمّ عليكم فضله النعما
ياليت شعري فيما ذا اختصامكم
وما الذي بعده ترضونه حكما
كم ذي الفتاوى وكم تكفير اخوتكم
كم ذا التشاتم واذلالا واندما
هذا الذي فتّ الاسلام نهضته
هذا الذي قصم الاعزام والهمما

الله الله كونوا أصدقاء كما
كانت معاشرة الاسلاف والقدما
الله الله ان كنتم لهم خلفا
تابعوهم مع الاحسان لا جرما
وثقفوا أولاد الاحداث تربية
وعلموهم علوم الدين والحكما
ضيعتموهم اذا الاقوام غيركم
حازوا الفنون وفاقوا فى النهى أمما
هذا سؤال كل عن رعيته
فما جوابكم يا معشر العلما ؟!

(احمد بن عبد القادر الكوكنى م ١٣٢٠ هـ)



فهرست الجزء الثالث
من القراءة الراشدة

الرقم	الموضوع	الصفحة

الصفحة	الموضوع	رقم

الموضوعات بحسب الاغراض

الدروس الدينية والخلقية

دروس من التاريخ الاسلامى

٨

تلخيص التاريخ الاسلامي

من النجوم إلى الأرض

تلخيص التاريخ الهندي الاسلامي

المنارة تتحدث

رجال التاريخ الاسلامي

الامام ابو حامد الغزالي

السلطان مظفر الحليم الكجراتي

شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية

عالمگير بن شاه جهان سلطان الهند

الشيخ نظام الدين اللكهنوي

الشيخ عبد العزيز الدهلوي

المعاهد الدينية

الجامع الأزهر

و

دار العلوم ديوبند ومدرسة مظاهر العلوم،

ندوة العلماء

دروس الأشياء

حديث القمر

شعر (حكمة وملح)

فاكهة الهند

وصف قلم

رثاء الأندلس

على لسان الندوة

كتب لدرس اللغة العربية

(٥)

القراءة الابتدائية

قصص النبيين للأطفال

الجزء الأول	-/١٠/-
الجزء الثاني	١/-/-
الجزء الثالث	١/٤/-

القراءة الراشدة

الجزء الأول	-/١٤/-
الجزء الثاني	-/١/-
الجزء الثالث	١/١٢/-

الدراسة الثانوية

مختارات من الأدب العربي

قسم النثر	٣/-/-
قسم النظم	غير مطبوع

اطلب الكتب من مكتبة ندوة العلماء - بادشاه باغ لكهنؤ
ومن المكتبات الشهيرة

Published by :-MAKTABA-E-ISLAM, LUCKNOW.
Printed at :-NAMI PRESS, LUCKNOW.